دول العرب وعظماء الإسلام

نظم

أحمد شوقي بك

طبع بعد وفاته

١٩٧٠

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص.ب ٥٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه دُرّة فى تاج الأَدب . وغُرّة فى جبين القريض . نظَم أَمير الشِّعر عِقْدها . وصاغ معناها ولفظها . وهو يُعَانى أَلم النفى . ويتجرّع غُصَص النوَى . إبّان الحرب العالميّة الكبرى . بين رُبوع الأَندلُس . التى عمَّر الإِسلام فيها ثمّ دَرَس . ونما وترعرع وأَزهر . ثم ذَوَى وأَقْفَر .

وليس ثمّة مواقع أَشحذ للذهن وأَنْضَى للخيال . من مثل تلك المواقع والمشاهد . التى أَوْحت إلى شوقى بك . رحمة الله عليه . أَن ينظم هذه الأُرجوزة الخالدة . فى « دول العرب . وعظماء الإِسلام » . فلا غرْوَ إذا جاءت فى بابها آية . وأَوفت فى بلاغتها على الغاية . وكانت جدّ حقيقة أَن تتجلَّى بمظهرها الرائع . فى سِفْرٍ مستقلّ . وأَن تحظى من العناية بضبطها . واتقان طبعها وتصحيحها بما يكفل الاقبال عليها والانتفاع بها . إن شاء الله تعالى .

محمود خاطر

مطبعة مصر فى ٥ مارس سنة ١٩٣٣

مقـــدمة

الحمد لله القديم الباقى   ذى العرش والسّبع العُلا الطِّباق

الملِكِ المنفردِ الجبّار   الدائمِ الجلالِ والإكبار

وارثِ كلِّ مالكٍ وما مَلَكْ   ومُهلِكِ الحىِّ ومُحيى مَن هلَك

منزِّلِ الذِّكر بخير الألسنِ   مشتملا على البيانِ الأحسنِ

أوحى إلى رسوله ما أوْحى   من كلِّ غرّاءَ تُضىءُ اللوْحا

وقصّ أنباءَ القرون فى السُّوَرْ   مَواثِلَ الحسن كأمثال الصُّوَرْ

وأفضلُ الصلاة والسلامِ   على أجَلِّ رُسُلِ السلام

من بلغتْ أمتُه به الأرَبْ   ورفعتْ همتُه ذكرَ العربْ

صلَّى عليه اللهُ فى سمائِهِ   وعرشِهِ السابحِ فى أسمائِهِ

وجعل الجنةَ من رِحابِهِ   وزفَّها لمحسنِى أصحابِهِ

خلائفِ الحقِّ أئمةِ الهدى   الرافعين بَعدَه ما مَهّدا

الفاتحين بالقنا للحقِّ   المنقذين من قيود الرقِّ

وجعل الخُلْدَ نظامَ الآلِ   ومن تلا الوُسطى من اللآلى

بنى علىٍّ وبنى العباس   زواخرِ الجودِ ، أسودِ الباس

الأكرمين نسبًا مُطهَّرا   الأرفعين حسَبًا ومظهرا

وبعد، فاسمعْ يابُنىّ وافهمِ   لاتـأْخذِ الأُمورَ بالتوهّمِ
لما رمى اللهُ بهذى الحربِ   على بنى الشرق وأهل الغربِ(1)
لحكمةٍ يعلمُها تعالى   يملا من أسرارها الأَفعالا
يُبرزها غدًا من الخِباءِ   إن غدًا يـأْتيك بالأنباءِ
تحركتْ سواكنُ الأَقدارِ   واطّردتْ عواملُ الأَكدارِ
وحكمَ اللهُ بهجرةِ الوطنْ   وطالما ابتلَى بها أَهلَ الفِطَنْ
فكنتُ أَستعدِى على الهمومِ   بناتِ فكرٍ ليس بالملومِ
أَستدفِع الفراغ والعَطالهْ   وبطلٌ من يقتلُ البَطالهْ
حتى أَراد اللهُ أن نظمتُ   من سِيَرِ الرجال ما استعظمتُ
عِلمًا بما تبعثُ فى الأَحداثِ   جلائلُ الأَعمال والأَحداثِ
إن الصبىّ ما تُغذِّيه اغتذى   فاكثرْ عليه فى المثال المحتذَى
واخترتُ بحرًا واسعًا من الرَّجَزْ   قد زعموه مركبًا لمن عجَزْ
يروْن رأْيًا وأَرى خلافَهْ   الكأْس لا تُقوِّمُ السُّلافَهْ
وقيمةُ اللؤلؤ فى النّحورِ   بنفسه وليس بالبحور
شعرٌ لزمتُ فيه مالا يَلزمُ   وتركُه أَليقُ بى وأَحزمُ
والحسنُ ما لم يكُ فى الكلامِ   عرّضك التحسينُ للملامِ
جاريتُ بالصّلدِ النّميرَ الجارى   قد يخرجُ العذبُ من الأَحجار

---

(1) الحرب العالمية .

دعا التحدّى خاطرى فلبَّى يحذو مِثالَ السّلَفِ الألِبّا
وما أيِستُ من كريمٍ يُغضى ولا أمنت حاسدًا ذا بُغضِ
وربما صُغْتُ من الأَمثالِ ما جاوز الجُرأةَ من أمثالى
ليجدَ الناشىءُ فى الجديدِ من لذةٍ ما ليس فى الترديدِ
فإن تجدْ عيبًا فكن عينَ الرضى أو مُرّ مرَّ الكرماءِ مُعرِضا

لغة العرب

تبارك الرحمنُ ذو الإحسانِ مميِّزُ الإنسانَ باللسانِ
لولاه لم ينهضْ بسائر النِّعَمْ ولا عدا فى الأَرض سائمَ النِّعَمْ
فهو أَداةُ العلمِ والبيانِ وهيكلُ الحكمة والأَديانِ
ومفجَرُ الفكر والاختراعِ ومُستَقَى اللَّهاة[1] واليراعِ
وصَدَفُ المنظومِ والمنثورِ ومُصحَفُ المعلوم والمأْثورِ
ومُسكةُ العُمرانِ بين الناسِ على العصور وعلى الأَجناسِ
رُبَّ لسانٍ جمع الأَقواما وكان كالجنس لهم قِواما
واستمسكتْ واعتصمتْ به الفِطَنْ
كعُروَةِ المِلَّةِ أَو حبلِ الوطنْ
وربَّ شعبٍ نال مجدًا باللغهْ لم يبلغِ الأَقوامُ فيه مبلَغهْ
كانت له فى ظلِّها حضارهْ رفَّتْ نعيما وجرتْ نضارهْ
سالت على الأَجيال من ضياءِ وأترعتْ قرائحَ الأَحياءِ

* * *

وكلُّ حُسنٍ كامنٍ أَو بادِ أَودعه اللهُ اللسانَ البادى
هذَّبَه العَرضُ على الأَذواقِ فيما يُقيمُ القومُ من أَسواق

---

(١) اللسان .

على عُكاظَ(١) تتبارى الْجِنَّهْ ... وفوق ذى(٢) المجاز والمجنّهْ
ويخطبُ الكُهّانُ فى المواسِم ... سجْعَ الْحَمام فى الرُّبا النواسِم
فتأْخذُ القبائلُ البيانا ... أَخذَك من مَعدِنه العِقيانا
مُهذَّبًا مُنقَّحًا مُنقَّى ... مُلقَّنًا من نفسه مُلَقَّى
فى شِرعةِ القول هو النَّميرُ(٣) ... وهو على عيونه الأَميرُ
مِن لفظِ اسماعيلَ فيه حُسْنُ ... تعشَّقتْه فى الرسول اللُّسْنُ
به تحلَّى وبه تباهى ... وبَزَّ فى الفصاحة الأَشباها

* * *

ولم يزلْ تاجَهمُ الكلامُ ... والأُمراءُ الصَّاغةُ الأَعلامُ
مُجمَّلين باللسان الأَبْيَنِ ... بمثلِه يونانُ لم تَزَيَّنِ
حتى حباه اللهُ بالجزيلِ ... واختاره للوحى والتنزيلِ
شريعةٌ فجّرها بحرانِ ... بالعلم والحكمة يزخَرانِ
طامٍ من الوحيِ فُراتُ المشرعِ ... فى زاخرٍ من الحديثِ مُترَعِ
فاضا على الصَّيدِ مُلوكِ البيدِ ... بَنِى زُهيرٍ وبنى لَبيدِ
فأَوردا القرائحَ القَراحا ... بل وَجدا ماءً فكانا الراحا
فلا تسلْ عن نَهضةِ العقولِ ... وكثرةِ المعقول والمنقولِ

---

(١) متسوق للعرب بصحراء بين نخله والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما ، وقيل شهرا ، تجتمع فيهـا قبـائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون ويتبايعون .

(٢) سوقان للعرب من طراز عكاظ . (٣) الماء الصافى .

وما أَطال الدين من بُنيانِ للعلم فى الدنيا وللبيان
ظلَّتْ تُعينُ المُصلحينَ الضادُ وظل للعلم بها اعتضادُ
حتى استقلَّتْ دَولة الرشيدِ ونهضتْ بركنها المَشيدِ
تُعيرُها فارسُ واليونانُ كما تَهادى الزهَرَ الجِنانُ
وكلُّ وَردٍ رائعٍ غريبِ فى أَرض جُورٍ ليس بالغريبِ
ما أَخذتْ غيرَ صَفِيِّ الرُّوحِ كاللطفِ من روحٍ سرَى لروحِ
ترى الدخيلَ بالأَصيل أَشكلا لم يُفسِدِ القومُ عليه الهيكلا
دا وسِعَ العلمَ والاختراعا أَرحب منها فى اللُّغَى ذراعا
توطَّنتْ مُختلِفَ البلادِ واحدةَ المَغْرِسِ والميلادِ
كالشمس ، بنتُ الفلَك المُدارِ وكم على الأَرض لها من دارِ
الأَرضُ شتَّى والبيانُ مؤتلِفْ كالراح دارتْ فى إناءٍ مختلِفْ
اغترفَ الوليدُ من جريرِ والمتنبِّى قائدُ الضريرِ[1]
وحثَّ فى الشرق النواسِيُّ القدحْ وفى رُبا الغرب الخفاجىُّ صَدَحْ[2]
فى كل غَنَّاءَ هَزارٌ شادِ وكلُّ ظلٍّ موضِعُ الإنشادِ

* * *

هذا لسانُ القوم يا بُنيّا على أَساسٍ ثابتٍ مَبنيّا
أَوديةٌ تُنضِى[3] الخيالَ فُسحهْ جرتْ عليها للجَمال مَسْحهْ
تنزِلُها أَوانسُ المعانى بين مَعينِ اللفظ والمعانِ[4]

---

(١) اشارة الى ابى العلاء . (٢) ابن خفاجه الأندلسى .
(٣) تسيله . (٤) المعان : المباءة والمنزل .

لسانُك الأَولُ فى الكُتّابِ ... ولُغةُ الصَّبْوَة والعتابِ
فخُضْ عُبابَ فقههِ وسرِّهِ ... وغُصْ على صحيحه وحُرِّه
لا تَرْضَ منه مَبلغَ الرِّعاعِ ... وحِصَّةَ الأَعمَى من الشُعاعِ
واقرأْ علومَ السّلَفِ الأَعلامِ ... فإنها مَعالِمُ الكلامِ
رُبّ قديمٍ كشُعاعِ الشمسِ ... ابنِ غدٍ واليومِ وابن أمسِ
وخلِّ ما زيّفَتِ الليالى ... وما نفتْ صيارفُ[1] الأَجيالِ
ولا تضَعْ من الجديد كلِّه ... يَفُتْك وضعُ الشيء فى مَحلِهِ
ربّ جديدٍ عنده المُعوَّلُ ... وربَّ كنزٍ لم يُثرْه الأَولُ
إن طريقَ العقل لا يُسَدُّ ... ومَذهبُ الأَفكار لا يُحدُّ
بين الجديدِ والجديدِ مَيّلِ ... لا تتَّبعْ طريقةَ الشُّمَيِّلِ[2]
لاتخلِطِ الأَعجامَ بالأَعرابِ ... تَحجلْ ـ وقاكَ اللهُ ـ كالغُرابِ!
وكلُّ ما لم يرْمَ عن قوسِ العربْ ... فليس فى نبعٍ لهم ولا غَرَبْ[3]
فاجرِ على محاسنِ اللسانِ ... تُجَلِّ فى مواطنِ الإِحسانِ
وامشِ بآدابِ الكتاب تهتدِ ... وقِفْ بأَبوابِ الحديث واجتدِ
هما هما القالبُ فيه يُفرَغُ ... ومَعدِنُ الحسْنِ الذى لا يفرَغُ

---

(١) ما رفض النقاد من الأجيال . (٢) كاتب مفكر وطبيب كبير كان يعيش فى الجيل الغابر وكان له مذهب فى التجديد يبالغ فيه .

(٣) شجر يقال له سهم غرب كما يقال سهم نبع وهو شجر أيضا تتخذ منه السهام .

التاريخ

مَن سخَّر الصخرَ الأَصمَّ للقلمْ حتى جرى نورًا عليه فى الظُّلَمْ؟

يُضيءُ أثناءَ الصفا وطورًا يَنجُدُ كهفًا بالسَّنى وغورًا[1]

لكل شيءٍ عُنصُرٌ ومَنْحِتُ وما أبو الأَقلام إلا المِنحتُ[2]

كم دُمْيةٍ مما جلا مُخلَّقهْ مُغنية ما أَغنتِ المُعلَّقهْ

قديمةٌ تُعرِّفُ الحديثا حادثةً فى الدهر أَو حديثا

قد نشأَ التاريخ فى حِجْر الحجرْ وشبّ مابين الكهوف والحُجَرْ

أَليس فى الصخر وفى الأَديمِ جُلُّ حديثِ العالَم القديمِ؟

ويا سقى بَرْدِيَّ[3] مصرٍ ساقِ يُمرِعُه من عَذَبٍ لساقِ

ولا يزلْ رهينةَ الخزائنِ من كرم ضنينة المدائنِ

يُفدَى وإن جفّ بليِّن السّرقْ[4] ما آيةُ الخزّ كآيةِ الورقْ

ساق الينا الثمرَ العُجابا وأَنجبتْ أَوراقُه إنجابا

لا كالرياحينِ ولا البقولِ لكن تبنّى ثمرَ العقول

* * *

(١) الصفا الحجر وكل هذا اشارة الى النقوش والكتابات فى الكهوف والأحجار . (٢) المنحت المعدن من منحت الحجارة وهو موضع نحتها والمراد النقوش على الحجارة والآثار . (٣) البردى نبات كالقصب كان قدماء المصريين يستخدمون قشره للكتابة . (٤) الحرير .

سبحانَه قصّ حديثَ آدمِ ... على تنائى العهد والتقادُم
ورفع التاريخ أعلى مَنزِلَهْ ... بنصِّه فى كُتبهِ المُنزّلَهْ
بين الأَناجيل عَلَتْ أُصولُهُ ... وفى الحواميم[1] غَلَتْ فصولُهُ
أَلم يكُ التاريخُ ظِلَّ العالَمِ ... وأَقدمَ الأَعلام والمعالِمِ ؟
توهَّمَ الخُلْدَ به الأَوائلُ ... وظن أَنْ نال البقاءَ الزائلُ
وطُلِبَ الصِّيتُ به قديما ... والذكْرُ فوق الأَرض مُستديما
والنفسُ ترجو هِمَّةَ الخلودِ ... فى العلم والبُنيان والمولودِ
تَوهَّمُ الحياةَ بعد موتِ ... وتزعمُ الوجدان بعد فَوتِ
ضاقتْ على النوابغ الآجالُ ... فكان فى الذكْر لهم مَجالُ
فى كل ذى روحٍ هوى الحياةِ ... أَودعه مُصرِّفُ الآياتِ
فكُنْ إذا أَحببتَها فخْمَ الهوى ... لاتكُ والشاةَ على حدٍّ سَوا
انظُرْ إلى الآباءِ كيف هاموا ... بالخُلْدِ واحتالت له الأَفهامُ
رمسيسُ وهْو فى البِناءِ من هُوَا ... تعشَّقَ الذكْرَ فغالى فى الهوى
مازال حتى غَصبَ الآثارا ... على الملوك قبلَه استئثارا
أَخَّرَ فى عصورها وقدّمَا ... وانتحَلَ المُرقَّعَ المُهدَّما
يَسرِقُ آثارَ بنى أَبيه ... وما لِما شَيّدَ من شبيهِ

* * *

مَن دَرَسَ التاريخَ أَو مَن دَرّسَهْ ... يمضى الزمانُ وهما فى المدرسهْ

---

(١) سور القرآن .

لا يبلغان فى الكتاب غايهْ ولا الكتابُ بالِغ النهايه

ذاك كتابُ الناس والأيامِ من آدمَ الْجَدِّ إلى القيامِ

تأنَّقَ الدهرُ به ما شاءَ وأتقن التألْيفَ والإنشاءَ

أنفقَ فيه زمنَ الشباب وما أتمّ فيه غيرَ باب

يكبُرُ أن يَطويَه السّجِلُّ وعن نوائب البِلى يجِلُّ

عالٍ على كفّ المُغيرِ الماحى لو مشتْ عليه بالرماحِ

مستهزئٌ بالغاشمِ البليدِ تهازؤَ المصحَفِ بالوليدِ[1]

لا يمّحى من الجميل ما رَسَمْ ولا يزول فى القبيح ما وَسَمْ

فإن وجدتَ خاطرًا مُطالِبا ونازعاً من الطباع غالِبا

فقِفْ على آثار أعيان الزمنْ واغشَ الطُّلولَ وتنقَّلْ فى الدِّمَنْ

وعالجِ النجْوى والادّكارا يُهيئاَ للحكمةِ الأفكارا

فالرّوحُ فى التاريخ الاعتبارُ وحكمةٌ تُوَدَعُها الأَخبارُ

وخُذْه من مُحقّقٍ أمينِ ومَيِّزِ الغَثَّ من الثمينِ

إياكَ والمُؤرِّخَ المِقَصَّا ما كلُّ مَن قصّ فقد تقصّى

وقدِّمِ المُعبِّرَ المُبينا تجدْه فى مَظلمةٍ مبينا

وتَلْقَ منه جَوْهَرًا أو صائغا وتُسْقَ فى الفضةِ عَذْبًا سائغا

فمن كريمِ الشعر والبيانِ عينان فى التاريخ تجريان

لولا أوابدٌ[2] من البوادى مشتْ على أيامِها العوادى

---

(١) اشارة الى قصة الوليد مع المصحف . (٢) الأوابد الغرائب .

الشعرُ بعد موتِها أَحياها في شعرِها تمثّلَتْ دنياها

وإن ملكتَ مرةً أن تصنَعهْ فاخشَ بأَن تخلُقَهُ وتصنَعَه

وهبْه لم يأْمَنْ عوادىَ العبَثْ

أَليس كالكِيرِ[1] الذى يَنفى الخَبَثْ

ما أَقبح الكِذْبَ على الرُّفاتِ والكذِبُ من أَراذلِ الصفاتِ

من غشّ نفسًا جَمَعَ المظالما ماذا ترى فيمن يغُشُّ عالما ؟

(١) زق ينفخ فيه الحداد .

الوطن

وجانبٍ من الثرى يُدعَى الوطنْ مِلْءُ العيونِ والقلوبِ والفِطنْ
مُزَيّنٌ للآدمىّ العاقلِ وكلِّ سهْلىٍّ[1] وكلِّ عاقلِ[2]
والأَسدِ الخادرِ فى البوادى والنّملِ فيما اتخذتْ من وادِ
ونَزْعةُ الناس إلى أوطانِها كنَزْعةِ الأبْلِ إلى أعطانِها
يُحبّه الأَقوام منذ كانا ولا يُساوون به مكانا
إذا أَتاهم أَيْسَرُ النّداءِ مِنه جرَوْا لغاية الفداءِ
أَو ذُكِر الحنينُ والحِفاظُ لم تجر الا باسمه الأَلفاظُ
كم من دماءٍ سِلنَ حولَ حوضهِ ومن عُروضٍ زُلنَ دون عِرضهِ
وفى سبيله قضى رجالُ من أن يُلاقَوْا تستحى الآجالُ
وباسمه كم تاجَرَ الفُسّاق وانقادتِ الناس لهم فساقوا

* * *

وَتكرُمُ الدارُ على الحرِّ الأَبى كرامةَ الأُمّ عليه والأَبِ
وليس من عِرضٍ ولا حريمِ تحميه فوق الوطن الكريمِ
الجسمُ من تُربته ومائهِ والرُّوحُ رَوْحٌ هبّ من سمائهِ
وكلُّ ما حولك من هِباتِهِ وما وَلدْت فهو من نباتِهِ

---

(١) ساكن السهل . (٢) ساكن الجبل كالوعل .

أَمانةُ الأوّلِ عند الآخِرِ خِزانةُ الآثار والمفاخر
وحوضُ ما جفّ من الشبابِ وقَصَفَ الدهرُ من الأَحباب
ورَسْمُ ما بان من الليالى وأَثرُ الأَيام فى الخيالِ
ومُخلِقُ الشبابِ والمشيبِ ومُلبسُ البالى على القشيبِ
وفى ثراه البلقَعِ اليَبابِ ما شِئتَ من أَهلٍ ومن أَحبابِ
وَفِى له من ليس بالوفِىِّ وهشّ من لم يكُ بالْحَفِىِّ

* * *

والمُلْكُ كالناسِ له أَوطانُ يَنظِمُها للأُمم السلطانُ
يَدينُ جنسٌ سائرَ الأَجناس ويَدّعى ناسٌ وَلاءَ ناسِ
يأْتمرُ الضعيفُ بالقوىّ ويأْمُرُ الراشدُ فى الغَوِىّ
فى دُولةٍ ممدودةِ الطِّرافِ مشدودةِ البُهرةِ(١) بالأَطرافِ
بلَّغها العنفُ ذُرَا الإِقبالِ كالريح تَبنى الماءَ كالجبالِ
هبّتْ ضُحًى عليه فاشمخرَّا وركدتْ عشيّةً فخرَّا
روما التى راع اتّساقُ مُلْكها وَهَتْ يواقيتالقرى مِن سلْكِها
أَمستْ هوتْ عن عرشها المُعظَّمِ وأَصبح التاجُ كأَنْ لم يُنظمِ
لم تَتّقِ اللهَ ولا الأَيامَا فى أُممٍ سَبَتهمو أَيامَى
بنو الزمان ، فوقهم بنُوها تكبّرًا وسُنّة سَنُّوها
وما لهم من وطنٍ سواها على تدانى الدار أَو نواها

---

(١) الوسط .

كثيرُ أوطانٍ بلا التئامِ وأُمَمٌ شتى بلا وِئامِ
وجَمْرةٌ فى كَبِدِ المنقادِ ولاعجٌ من كامن الأَحقادِ
وكلُّ فأْس وقعتْ فى الدار تنزل بالاس وبالجدار
فحكَمَ اللهُ على الرومانِ وأدركتْهمْ سُنّةُ الزمانِ
لِترثَ الأَيامَ شبانُ الأممْ والإرْثُ للشباب حقٌّ من أَمَمْ
وأنجزَ اللهُ النبيّ وعدهْ وساد قومُه الزمانَ بعدهْ
فورثوا قيصرَ فى المشارقِ وأخذوا الغرب بسيف طارقِ
وأَمَّنوا الأَمصار فاتحينا وعَدَلوا فى العالَمينَ حينا
واتخذوا كُل القرى أَوطانا وحاسنوا الأَهلين والقُطَّانا
فحيث حَلَّ العربىُّ حيّا من الملا قبيةً وحيًّا
وشاطر الأَرضَ على التساوى محاسنَ الأَقوام والمساوى
حتى انقضى سلطانُهم وزالا وفضلُهم باقٍ ولن يزَالا
تغيّرت كدأْبها البلادُ وانتقل الزِّمامُ والمقادُ
ودينُهم بين الشعوب دينُهمْ يعيِ على الأَيام مَن يَدينهمْ
وذلك اللسانُ باقٍ لم يَزَلْ يمضى عليه من جلا ومن نَزَلْ
لم يبق منهمو سوى الأَصواتِ وعجَبٌ تكلُّمُ الأَمواتِ

البيت الحرام

دارٌ عليها مِيسَمٌ[1] من القِدمْ   حُجّتْ على أَول خُفٍّ وقدمْ
مَهدُ الهدى فى الأَولين رُكنُها   وحصنُه فى الآخرين صحنُها
تلك جِباهُ الرُّسْل فِى ترابها   وخدُّ إبراهيمَ فى مِحرابها
غنيةٌ عما كساها أسعدُ[2]   فى الدهر وهو بالثناء أَسعدُ
وكم جلَاها فى اليمانى المُسْبَلِ   من قَبِلتْ منه ومن لم تَقْبَلِ
لا تلمسن وشْيَها ضريرَا   رُب عَروسٍ تلعَنُ الحريرا!

* * *

تواضعتْ بين شِعاب الوادى   لم تتخذْ تبذّخَ الأَطوادِ
لم تُبنَ بالصُّفَّاح والصَّوانِ[3]   ولا علتْ تعالِىَ الإيوان
لايد خُوفو[4] أَرهقتْ فيها البشرْ   ولا سليمانُ لها الجنَّ حشرْ
بل صُنْعُ شيخٍ مُقبلٍ مُزاولِ   أعينَ بابن يافعٍ مناولِ[5]
قد رفعاها حجرًا فوق حجرْ   ووضعا فيها على اليُمنِ الحجرْ[6]
اللهُ يُوحى والأَمينُ يشهدُ   وتخشعُ الأَرضُ ويعلو المعهدُ

---

(١) جمال .   (٢) من كسا الكعبة الوصائل والملاء وانه أول من كساها .   (٣) الحجارة العظيمة .   (٤) فرعون مشهور .
(٥) هما ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .   (٦) الحجر الأسود .

حتى تجلتْ قبة الإيمان   ممدودةَ الظل على الزمان

وركنُها كأَمسِ فى أُم القرى[1]   تُطوَى القباب والقصورُ والقرى

دعائمٌ من خَشيةٍ وتقوى   على تطاول الزمان تقوى

وما بنى الحقُّ له الثبُوتُ   وما بنى الباطلُ عنكبوت

تقبّل اللهُ من الحوارى[2]   واختصّ بالبيت وبالجوارِ

واختار من عباده قبيلا   للبيت يهدونهمو السبيلا

أُولو الإِلٰه الكرماءُ عهدا   النازلو البيتِ العتيقِ مهدا

الراضعو زمزمَ فى الهواجرِ   وهى تَدِرُّ من بَنَانِ هاجرَ[3]

غُرّةُ آبائهمُ الذبيحُ[4]   والأُمهاتِ جُرهُمُ الصبيحُ[5]

أَبناءُ إسماعيلَ حول بَكّهْ[6]   تضوّعت منهم شِعابُ مكهْ

بيتهمو محبوكةٌ مفاخرُهْ   أَولُه نُبوّةٌ وآخرُهْ

* * *

انتشروا قبائلا على الزمنْ   مِلْءَ الحِجاز والشآمِ واليَمَنْ

بَدْوٌ بكل نَشزٍ وقاعِ   وحَضَرٌ فى عامر البقاعِ

تنقلَتْ فيهم دياناتُ الأُوَلْ   تنقلَ الأَيام فِيهم والدُّوَلْ

والدِّينُ بين القدماءِ عَدْوَى   يقطعُ أَجوازَ القِفار عَدْوَا

نارُ المَجوس وجدتْ مجازا   وابنُ سنان[7] أَنقذَ الحِجازا

---

(١) مكة .   (٢) ابراهيم عليه السلام .   (٣) زوجة ابراهيم عليهما السلام .   (٤) اسماعيل .   (٥) جد حى من العرب البائدة .
(٦) بطن مكة .   (٧) فى ابن الأثير أن نارا ظهرت ببلاد العرب فى الجاهلية فكانت فتنة لهم وكادوا يتمجسون فأطفأها خالد بن سنان العبسى .

بقيةٌ تؤمنُ بالجليل يتّبعون مِلّةَ الخليلِ
وعُصبةٌ على هُدى الأَحبارِ أَهلُ كتابٍ يعبدون البارى
آلُ ابنِ عِمرانَ أَو ابنِ مَريَما فمن بهاتيك الشِعاب خيّما ؟
وفِرقةٌ دَهريةٌ جُحّادُ عن كل دينٍ لهمو إلحادُ
وآخرون افتتنوا بالنارِ أَو سجدوا للكوكب المُنارِ
أَو أَلَّهوا ما نحتوا من الحجرْ أَوعبدوا ما استنبتوا من الشجرْ
وغيرُهم بالحيوانِ دانا وقدّسَ الأَرواحَ والأَبدانا
كلٌّ من الحيْرةِ والضلالهْ يعشو[1] إلى القوة والجلالهْ
قد هجروا الشمسَ إلى الاياةِ[2] وجاوزوا المُحيي إلى الحياة
وبلبلت أَلسُنَهمْ أَسماءُ فكثُرتْ فى حُبِّها الاسماءُ

* * *

مكةُ دارُ المُلكِ والبيتُ المِلكْ تُمسى الوفود[3] فى سُراها تهتلِكْ
واتفقوا فى الحب والتجلَّهْ على اختلاف مذهبٍ ومِلَّهْ
يجمعُهمْ من كل سهلٍ وجبلْ ضوابحَ[4] الخيل روازحَ[5] الإبلِ
يَسْدِنُ[6] ساداتُهمُ قبابَه ويحجُبُ الصَّيدُ السُّراةُ بابَه
وهاشِمُ السُّحْبُ سقاةُ الوفد الغامرون غيرهم بالرّفد[7]
دارٌ لأَقوامٍ مُجاورينا ومَنسَكٌ[8] طُهْرٌ لآخرينا

---

(١) يجىء الى . (٢) الشعاع . (٣) مسيرها بالليل الى البيت . (٤) اى تسمع انفاسها من شدة العدو . (٥) اى منطرحة ابلهم اعياء . (٦) يخدم . (٧) الرفد العطاء . (٨) متعبد .

ومَوسِمُ السَّوْمِ(1) والاكتسابِ ونَدْوَةُ النداءِ بالأَنسابِ
ومِنْبَرٌ حَفَّتْ به القبائلُ إيادُ(2) من أَعواده ووائلُ
قِسٌ فى النهى قُسًّا(3) إلى سُقراطِ يتّزِن القيراطُ بالقيراطِ
كان مَسيحيًّا وكان فاضلا وكان عن حقيقةٍ مُناضلا
مُحمدٌ من ناقلى عِظاتِهْ والصاحب الصِدِّيقُ من رُواتِهْ
وحَرَمُ الآداب والأَخلاقِ وكيف لا وهو حمَى الخلَّاقِ
لا يُنطَقُ الهُجْرُ به والإِفكُ ولا يَحلُّ للدماءِ سَفْكُ
ومَعبَدٌ مُشترَكٌ مُشاعُ(4) كلُّ العبادات به مَشاعُ
أَعجبُ منه لم يرَ الأَنامُ يُعبدُ فيه اللهُ والأَصنامُ
فالبيتُ حالى الجنباتِ عاطِلُ يجاورُ الحقَّ عليه الباطل
يُحَجُّ للبِرِّ وللخِلالِ وتارةً للهِ ذى الجلالِ
كلٌّ فريقٍ حول ما أَحبَّا وكل قوم يعبدون رَبًّا
تسمُّح للعرب القُرومِ لم يُلف فى الفرس ولا فى الرومِ
سُقراطُ لو جاورهُمْ مُعافَى لم يَذقِ السجنَ ولا الزُّعافَا

---

(1) المساومة . (2) اياد ووائل قبيلتان . (3) عربى خطيب حكيم . (4) المشاع والمشاع واحد وهو غير المقسوم .

مُحمدٌ سُلالةُ النُّبُوَّهْ ابنُ الذبيحِ[1] الطاهرُ الأُبُوَّهْ
العربيُّ طينةً نبيلهْ القُرشيُّ الباذخُ القبيلهْ
أَبوه ذو النورِ الجميلُ الجَعْدُ ومُرضِعوه الفُصحاءُ سَعدُ[2]
وبيتُه النجمُ الرفيعُ شهرهْ ونبعتاه هاشمٌ[3] وزُهْرَهْ

* * *

قد نزل اليُتْمُ به جنينا لم يتهيَّبْ سيدَ البنينا
فنهضتْ بأَمره العنايهْ تُحسِنُ فى نشْأَتِه البنايهْ
لما حواهُ آلُه يتيما حوى فريدًا سِلكُهم يتيما
من شَيْبَةَ[4] المباركِ الأَغرّ إلى أَبى طالبٍ الأَبرِّ
ولا حُنُوّ كحُنوّ الجَدّ ورُب عمٍّ من هِبات الجَدِّ
فشبّ حُلوًا[5] سَمتُه ودَلُّهُ ليس له من اليتيم ذلُّهُ
مُرتسِما فى أَدب الاسلامِ من اجتناب الخمر والأَزلامِ[6]
مُنحرفًا عن الدُّمَى صبيا وهكذا من يُجتبَى نبيا

---

(١) اسماعيل . (٢) حى من العرب . (٣) هاشم أبو عبد المطلب جد رسول الله لأبيه وزهرة أبو عبد مناف جده لأمه، وكلاهما من سادات العرب . (٤) اسم عبد المطلب جد رسول الله .
(٥) السمت حسن الهيئة والدل السكينة والوقار وحسن السلوك .
(٦) سهام كانت الجاهلية تستقسم بها .

مُبرّءًا من نَزَقٍ وطيشٍ ... وخُيلاءَ فى بنى قريشٍ
مُلقباً فى البلد الأَمينِ ... دون بنى الأَعيان بالأَمينِ
مُجمّلاً بالصدقِ فى صبائِه ... والصدقُ كان من حُلَى آبائِه
حتى جرى لغاية الرجال ... فلم يزل مُجَلِّيَ[1] المجالِ
فات قريشاً بمكارم الخُلُقْ ... مثلُ ابنِ عبد الله للسبقِ خَلَقْ
قد حاز من مواهب السعادهْ ... مالا يحوزُ بَشرٌ فى العادهْ
أَكرمُ من صَوْب الحيا نصابا ... وأَجودُ الناس بما أَصابا
وقائدُ الخيلِ فتًى وكهلَا ... وكان فى المهد لذاك أَهلا
إن حاد فى الكرب الكماةُ لم يَحِدْ ... قد علمتْ ذاك حُنَيْنٌ[2] وأُحُدْ
وذائدُ الحقوق والمُحامى ... عن جارِه وواصلُ الأَرحامِ
الأَصبحُ الأَفصحُ فى المجامعِ ... الْحُلوُ فى العيون والمسامعِ
إن الجمالَ حِليَةُ الأَقمارِ ... ما أَضيعَ الحسنَ على الأَغمارِ
من جِرْيَةِ الوحى على لسانهْ ... أَعيا المجيدين مدى إحسانهْ
حديثُه حلَّاه إسماعيلُ ... وبلَّهُ بريقهِ جبريلُ
حِلْيةُ مَن صاغ الكلام وعَلِمْ ... وكيف لا وهو جوامع الكَلِمْ

* * *

كان رسولُ اللهِ فى شبابهِ ... لا يَدعُ الرزقَ وطَرْقَ بابهِ
أَىُّ رسولٍ أَو نبىٍّ قبلَهُ ... لم يطلبِ الرزقَ ويَبْغِ سُبْلَهُ ؟

---

(١) الجواد الأول فى السبق . (٢) من غزوات رسول الله .

مُوسَى الكليمُ استؤجر استئجارا وكان عيسى فى الصِّبا نجَّارا
من أَحسن الأَمثالِ فيما أَحسَبُ الخُبزُ لا يُعطَى ولكن يُكتَسبُ
والرزق لا يُحرَمُه عبدٌ سعى مُضيِّقًا عليه أَو مُوسَّعا
لا تأْلُ لا سعيًا ولا تُكلانا لا ينفعُ التوكُّلُ الكسلانا
كان قُبَيْلَ البعثِ رَبَّ مالِ وتاجرًا مُيسّرَ الأَعمالِ
يَضربُ فى حَزْنِ الفلا وسهلِهِ بمالِ عمِّه ومال أَهلِهِ
مُبارَكَ الرِّحلةِ والإِقامهْ مستصحِبَ الجدِّ والاستقامهْ
وليس للتاجر من ضمانَهْ أَبقَى ولا أَوْفَى من الأَمانهْ
والرزقُ بين الناس بحرٌ جارِ شِراعُهُ يُرفَعُ للتجّار
وما تلقَّى الرزقَ باليمينِ فى الناس مثلُ التاجرِ الأَمينِ
فاسترزقِ اللهَ وقِفْ ببابِهِ واكسبْ فأَهلُ الكسب من أَحبابِهِ
لا بدّ فى هذى الحياة من أَدبْ لمن تصدّى للأُمور وانتدبْ
فأَدبُ الصانع إِتقانُ العملْ وأَدبُ التاجر بالصدق كمَلْ

* * *

لما أَخالَ[1] الرشد والهدايهْ وانقشعَ الضلالُ والغوايهْ
دعاه داعٍ لم يكنْ بالبال إِلى انتياب أَرْؤسِ الجبال
يصعَدُ مثل (النجم) فيها مُوفيا[2] وينزِل (الكهفَ) بها مُستخفيا[3]
وكم أَواها خاليًا بنفسهِ وفاز من وحدتِه بأُنسِهِ

---

(١) بشر بالخير . (٢) أى مشرفا . (٣) كضوء النجم فى الكهف لا يراه من فى الخارج .

عالجَ فى (المعارج) (الإسراء) وبَدَلَ (الطُّور) ارتقى (حِراء)
باتَ على (الإخلاص) (والإيمان) وطالت (السجدة) (للرحمن)
(والكافرون) فى (قريشٍ) (والبلدْ) (لم يكن) الأَمرُ لهم على خَلَدْ
حتى أتى (الفتحُ) وجاء (النصر) واستقبل (النبَا) العظيمَ (العصرُ)
وهبط (النورُ) عليه وحْيًا ونزل (الفرقان) فيه مَحيًا
مُنزّلًا بحسَب الزمانْ مُفصَّلَ اللؤلؤ والجُمانْ
فى كل ليل أو نهارٍ آيهْ كالشمس أو كالبدر بُعدَ غايهْ
جامعةٌ بين البيان الرائعِ وبين عُليا حِكَمِ الشرائعِ
ولم يزلْ نزولُه مُفرّقا مُشرّقًا به الحِجازُ مُشرِقًا
مُسايِرَ النبيِّ طولَ عُمْرِهِ ونورَه فيما دجى من أَمرِهِ
حتى إذا أمسى القضاءُ حُمَّا تمتْ حياة المصطفى وتما

* * *

كان ابتداء الوحيِ فى حِراءِ فاتحةَ الرسالة الغراءِ
اللهُ خيرَ خَلْقِه أَعطاها وحَمّلَ الأَمر العظيمَ طه
أَرسله قلادةَ النظامْ عصماءَ عِقدِ الرُّسْلِ العِظامْ
فجاءَ بالخير ذوى قُرْباه مَن قَبِلَ الرُّشْدَ ومَن أَباه
ناجاهمو ببيِّناتِ ربّهِ فآمنتْ (بنتُ خُوَيْلِدٍ)[1] بهِ
فقيل فيها أَسبقُ الإناثِ وفى علىٍّ أَسبقُ الأَحداثِ

---

(١) السيدة خديجة زوجة رسول الله .

وفى الرجال لأَبى بكرٍ يدُ ... بالسبق لم يبلُغْ مداها سيّدُ
وكانت الدّعوةُ بالكتابِ ... وحجةِ اللهِ على المرتاب
فلم تزلْ حتى انثنتْ بحَمزةِ ... وانقلبتْ بعُمَرٍ فعزّتِ[1]
ودخل المستضعَفون[2] فيها ... كلُّهمو خوف الأَذى يُخفيها
عُذِّبَ بعضهم ربيطَ الجاشِ ... وبعضُ التجا إلى النّجاشى[3]
وصبرَ الداعى على البذاءِ ... وما يُلاقيه من الإِيذاءِ
فما مقالُ الجاهلِ المفنِّدِ ... تأَسّس الإِسلامُ بالمُهنّدِ ؟
أَمَن يسُلُّ سيفَه يستخفى ... ويحملُ الخسفَ لأَهل السُّخْفِ!
من استطاع أَخذ شيءٍ عَنوهْ ... كان له عن العلاج غنوهْ[4]

* * *

نال الرسولَ الضُّرُّ من عداهُ ... وبلغ الأَذى به مداهُ
ومات من آوى وربّى واصطنعْ ... وذاد عن خير البنين ومَنع[5]
وحائطُ الدّعوةِ فى أَساسِها ... ورُكنُها قبل اشتداد بأْسِها
وارتْ أَبا طالبٍ الأَحجارُ ... فأَعوزَ الحامى وعزّ الجارُ
وركِبتْ متنَ هواها هاشِمُ ... وجال غاوِيها وصال الغاشِمُ
وكان من أَفحشِها أَبو لَهَبْ[6] ... عمٌّ ، ولكن مَذهَبَ السوء ذَهبْ
فحقتْ الهِجرةُ وهى مُرّهْ ... ما وُصفتْ إلا لنفسٍ حُرّهْ
سبيلُ موسى فى الزمان الأَوّلِ ... ومذهبُ الروح ولمَّا يُحوِلِ[7]

(١) نصرت وتأيدت . (٢) الذين يرى عليهم الضعف .
(٣) ملك الحبشة . (٤) اى غنى . (٥) هو عمه ابو طالب .
(٦) عمه المذكور فى القرآن . (٧) عيسى عليه السلام ولم يكن اكتمل حولا .

ومركَبُ الأَفرادِ والأَعلامِ   وخصَماءُ الظلم والظُّلامِ
ما أجملَ الهجرةَ بالأَحرارِ   إن ضنّتِ الأَوطانُ بالقرارِ

* * *

تـأَمّلِ الرّسلَ الكرَامَ واعتبِرْ   إن العظيم للعظيم يصطبر[١]
ما أَصعبَ الدعوة فى البدايهْ   حتى على الرُّسْلِ أُولى الهدايهْ!
وأَثقلَ الحقَّ على الجماعهْ   إن وُجدتْ أُذْنٌ له سمّاعهْ
والناسُ فى عداوة الجديدِ   وقبضةُ الأَوهام من حديدِ
هاجر من أُمّ القرى مأْذونا   وما درى أَو سمعَ المؤذونا
فى ليلةٍ للختْل كانت مَوْعِدا   قد نصبتْها شَرَكًا أَيدى العِدا
ائتمرتْ فى النّدوةِ[٢] الأَعيانُ   وانتدبتْ للفتكةِ الفِتيانُ
وقعدوا ناحيةً كَمينا   ليغدروا فى داره الأَمينا
فخرج اللهُ من البيت بهِ   لم يرَهُ الجمع ولم ينتبهِ
وسار فى ركابه الصِدّيقُ   وفى البلاءِ يُعرفُ الصدّيقُ
فانتشرتْ خيلُ قريشٍ تطلبُهْ   من ينصرِ الرحمنُ من ذا يغلِبُهْ؟
مرّوا على الغار مُضلّلينا   وأَخذوا السُّبْلَ مُسائلينا
حتى بدتْ سيدةُ الأَمصارِ   وبَلدةُ الأَعيان والأَنصارِ
وكان فيها للرسول شِيعهْ   وعُصبةٌ سامعةٌ مُطيعهْ
قد عرضوا بمكّةَ المبايعهْ   وبذلوا فى المَوْسِم المتابعهْ[٣]

---

(١) اشارة الى هجرة اكثرهم وتجرعهم غصة الخروج من الديار .
(٢) دار الشورى .   (٣) متابعته على دينه الحق .

وكان إيمانُهمو فى السرِّ   خوفَ قُريشٍ واتّقاءَ الشرِّ

فكان للقادمِ منهم أَهلُ   ومنزلٌ رحبُ الفِناءِ سَهلُ

باليُمْنِ أَلقى رحلَه فى الخزْرجِ   كأَنّه من أَرضِه لم يَخرجِ

وامتنعتْ يَثربُ(1) فى النّبُوّهْ   وامتلأَتْ من مَظهرٍ وقوهْ

واجتمعتْ حول الهدى لواءَ   يُحاربُ الضلالَ والأَهواءَ

كلّ غَزاة للنبىّ حقّه   لم يَعْدُ فى حرب قريشٍ حَقّهْ

ليس سواءً كلُّها العَوان(2)   لا يستوى الدفاعُ والعُدوان

وربّ صالٍ نارَها لم يَجنِها   وإن يكنْ من شُهْبِها وجِنِّها

هم بلغوا نهايةَ التمرّدِ   وطرّدوا الإِسلامَ كلَّ مَطْرَد

وصادروا الأَموالَ معتدينا   وناصبوا محمّدا والدينا

وهادنوا ثم بغوْا فناهدوا   ونقَضوا ما أَبْرمَ التعاهد

فكانت الحربُ لدفعِ الحَيْفِ   قد تُؤخَذُ السِّلمُ بحد السيف

وكان (بدرٌ) مطلعَ الأَيام   ورفعةَ الصلاة والصيام

وأَوّلَ العهدِ بعزّ المِلّهْ   وبارتداء المشركين الذِّلّهْ

و(أُحُدٌ) جالوا بها وجالا   وانكشفتْ بينهما سِجالا

خيرُ الأُساة كان من جَرحاها   دارتْ على ثباته رحاها

خالف فيها المسلمون رايَهْ   والحربُ للقائد ذى الدّرايهْ

و(خَيْبَرٌ) كانت مع اليهودِ   لنقضِهم مُوكّد العهودِ

---

(1) المدينة .   (2) الحرب العظيمة .

ودَسِّهِمْ عليه فى قريشِ وعَونِهِمْ عليه كلَّ جيش
كيلوا بسيف الحق كَيْلَ السندرهْ
ولم يقفْ مَرحَبُهم لحيْدَرهْ(١)

فلم يدعْ حصنًا عليها قائما ولم يَعدَّ الفاتحُ الغنائما
وما يهودُ بالسِّخافِ الأَغبيا إذ ظاهروا الشِّركَ عدوَّ الأَنبيا
إنى أَظنُّ الحرصَ مَنّى القوما أَنْ سيسودوا بالحِجاز يوما
وأَن دِينَهم بذاك أَجدَرُ وأَنهم على قريشٍ أَقدرُ
وفى حُنينٍ عظُمَ البلاءُ وحلَّتِ الأَلطافُ والآلاءُ
اغترَّ فيها المسلمون كثرهْ وللغرور بالرجال عثرهْ
أَنساهمُ الحُطامُ ذِكرَ الساعه فمال نصرُ الله عنهم ساعهْ
لولا رسولُ الله فيهم بادوا وأَصبحوا يرويهمُ العبادُ
أُيِّدَ بالصبر وبالثباتِ والرابطينَ البُهمِ الاباةِ
ونزل النصرُ من السماء مُؤزَّرًا مُجَلِّىَ الغَمّاءِ(٢)
فكان للهادى عُلُوّ شانِ وغيظَ كلِّ حاسدٍ وشانِ

* * *

قفْ بقريشٍ بعد بدرٍ وسَلِ ما غرّها بابن أَبيها المرسَلِ ؟
أَم حسدًا ، والأَهلُ أَهلُ للحسدْ لو استطاع أَنكر الرأْسَ الجسدْ
أَولُ محسودٍ هو القريبُ والفضلُ فى دياره غريبُ
تريدُ حربًا ويُريدُ سِلمًا تَزيدُ جهلا فيَزيدُ حلما

(١) هو على عليه السلام ومرحب بطل اليهود. (٢) اى كاشف الغمة.

هم منعوه الرُّكنَ والمَقاما   وسِيمَ بالمدينة المُقاما

أرادَ حربَهمْ فسيل صفحا   وهمَّ بالفتح فقيل صُلحا

عاهدهم فأَخلفوه المَوْثِقا   وركبوا الغدرَ الوبيلَ المُوبِقَا

بَغوْا على أَحلافِه الكِرامِ   جيرتهِ بالبلد الحرامِ

فاستصرخوه فأَتى من طِيْبَهْ[1]   كالسيل يُزجِى رعدَه وسَيْبَهْ

وفُتحتْ مَكةُ للإِسلام   وحلّ فيها ظافرَ الأَعلامِ

ونُزِّهَ البيتُ عن الأَوثانِ   واللهُ عن نِدٍّ له أَو ثانِ

ورَفِقَ الغالبُ بالمغلوبِ   فكان أَيضا فاتحَ القلوبِ

أَطلقهم ومَنّ بالأَمانِ   فالطُّلقاءُ هُمْ على الزمانِ[2]

وكان من تسويةِ الاسلامِ   وجعلِه الفتاةَ كالغلامِ

بَذْلُ النساءِ كالرجال البَيْعهْ   لا يُشتكى لحقِّهنَّ ضَيْعَهْ

مستقبلاتِ المصطفى خلفَ الخُمُرْ   يأْخذُها له عليهنَّ عُمَرْ[3]

بايعن حتى هندُ[4] المناضلهْ   على الوَلاءِ والخلال الفاضلهْ

وظلتِ الدعوةُ فى يسارِ   السيفُ يحمى والكتابُ سار

وبُعثَ الرُّسْلُ إلى الأَحياءِ   يُحيُون فيها ميّتَ الأَحياءِ

يَمضون لله وللرسولِ   وينثنون ببلوغ السُّولِ

وكم أَتتْ من دونها آجالُ   ومات دون الواجب الرجالُ

---

(١) المدينة المنورة .   (٢) هذا لقب اهل مكة بعد ان اطلقهم رسول الله وأمنهم .   (٣) كل هذا اشارة الى مبايعة عقائل قريش اياه عليه السلام .
(٤) هند بنت عتبة أسلمت وبايعت وكانت تؤذى رسول الله قبل الفتح.

حتى أَظلّ العربَ الإسلامُ وشَمَلَ الجزيرةَ السلامُ
وبلغ الصُّمَّ بلاغُ الداعى وأَسمعتْهمُ حَجَّةُ الوَداعِ[1]
هناك حان أَجلُ الطبيبِ وحَكَمَ المحبُّ فى الحبيبِ
سبحان من له البقاءُ دون حدْ وليس فوق الموت غيرَه أَحدْ

(١) آخر حجة لرسول الله خطب فيها وبلغ وأرى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم .

الخلفاء الراشدون

الخلفاءُ الراشدونَ أَربعَهْ ... مَرضيّةٌ سُنّتهمْ مُتّبعهْ
فى الذِّكْر لم يُغْفَل لهم حَديثُ ... وذِكْرُهمْ سَيّرَهُ الحديثُ
العُمَران[1] وابنُ[2] أَرْوَى وعَلِى ... فى الذِّروةِ الشمّاءِ والأَوْجِ العَلِى
خلائفُ اللهِ أئمةُ الهُدَى ... وَطَّأَ للحَقِّ بهمْ ومَهَّدَا
كلُّهمو ابنُ أمسِهِ ويَوْمِهِ ... عِمادُ دارِهِ عَميدُ قومِهِ
هُمُ النجومُ فى سماءِ غالبِ ... ومطلع الهادى المنيرِ الغالبِ
نماهمو كما نماهُ فِهْرُ[3] ... فبينهم واشجةٌ وصِهرُ
معادنُ الوفاءِ والاخاءِ ... صَحابة الشِّدَّةِ والرَّخاءِ
ما مَنَعوا اللهَ ولا نبيَّهْ ... قِيادَ نفسٍ سَمْحةٍ أَبيّهْ
وما الْحَوَارِيّونَ خَلْفَ عيسى ... أحثَّ منهم للنجاةِ عِيسَا[4]

* * *

رُعاةُ شاءٍ وتِجارُ مالِ ... كالرُّسْل فى هذا وفى الكمال
قد كفلوا الاسلامَ فى صباهُ ... فأَيُّهم نادَى دَعَى أَباهْ
بالنفسِ والنفيسِ أَيَّدوهُ ... وبالقنا والرأْى شيّدوهُ

---

(١) أبو بكر وعمر . (٢) عثمان . (٣) هو أبو غالب سيد قريش ومن أجداد الرسول . (٤) العيس الابل ، أى هربا من الدنيا وطلبا للآخرة .

وأَمّنوا ديكَ الهدى فصاحَا وآمنوا بفجره مُنصاحا

كلهمُو فيه المجيبُ الأَو عطوْه غاياتِ الرضى ونوّلوا

فاسبقْ إذا الحقُّ دعا مستنصِرَا وكنْ إذا عُدَّ الحماةُ الْخِنْصَرَا

ما حَمَل النفسَ على الأَشقِّ كقائل الصدقِ وحامى الحقِّ

حتى جبا الأَرضَ اليهم مَنْ جَبَا وملكوا الدنيا فكانوا أَعجبَا

حدِّثْ عن الخليفة الخميصِ[1] والمَلِكِ المخرَّقِ القميص

مثل الجوادِ زانه الإِضمارُ والشمسِ زادت حسنَها الأَطمارُ

لا يعقدون فى الجباهِ العسجدَا بل الترابَ للمليك سُجَّدَا

وتحتَ أَقدامهم التيجان يندبُها اللؤلؤ والمَرجانُ

كِسرى ببطنِ الأَرض عطْل المفرقِ وقيصرٌ يندُبُ تاجَ المشرق !

---

(١) الجائع .

خلافة أبي بكر الصديق

سبحان من يُنعِمُ كيف شاءَ ... ساس الورى من كان يَرعى الشاءَ

يقود بعد إبلِ ابن عَامِر[1] ... مادَبَّ في غامِرها[2] والعامِر

سما سموَّ الثاقب السيّارِ ... والخيرُ عُقبى صُحبةِ الأخيارِ

من أُيِّد الحقُّ به تأيَّدَا ... وعاش أو مات كريما سيّدًا

وكلُّ عزٍّ في ظِلال الباطِلِ ... نسجُ عناكِب وخَيطُ باطلِ

كم شوَّه الباطلُ حين سوَّدا ... كالنار تعلو بالدُخان أسودا

لما أهاب بالرسول الداعي ... وآذن الجثمانُ بالتداعي

ولّى أبا بكرٍ على الصلاةِ ... وتلك عليا رُتَبَ الولاةِ

فبايع الطائعُ والأَبيُّ ... طوبى لمن بايعه النبيُّ

وكان ما لم يكُ منه بُدُّ ... أَقضية الرحمن لا تردُّ

أَصابت الفتنةُ والحبائلُ ... ونَكَستْ بعد الهدى القبائلُ

وثاب أَقوامٌ إلى الأوثان ... وقام غاوٍ وتلاه ثانِ

تنبأ فلقيا نجاحَا ... واتّبعتْ طائفةٌ سَجاحا[3]

واضطرب الحبل وماجت الزُّمَرْ ... واقتحمَ الفتنةَ فابتلّ عمرْ[4]

---

(١) هو عثمان بن عامر أبوه رضي الله عنه . (٢) الغامر من الأرض هو ما ليس بالعالي . (٣) امرأة من العرب ادعت النبوة .

(٤) هو عمر بن الخطاب قد كاد يفتن من شدة جزعه على رسول الله .

يومٌ كيوم السامِرىِّ[1] لولا ... دَفْعُ أَبى بكرٍ وعونُ المَوْلَى

غُمَّ على الحِجاز ، فاسترابا ... نزولُ ذاك القمرِ الترابا[2]

جلىَّ الامامُ يوم ذلك الغُمَمْ ... إن المهماتِ ميادِين الهِمَمْ

أعين بالتأْييد والتسديد ... وفتيةٍ بنُوا من الحديد

من كل سيفٍ سلَّه المختارُ ... ماضٍ فِرِنْدُه الصِّبا بتّارُ

أُسامةُ[3] الأَسماءِ والأَفعالِ ... أَجرى من الهلال للمعالى

قد نصروا اللهَ وبرّوا الهادى ... ووصلوا الجهادَ بالجهادِ

وأَصلوْا الشركَ الحروبَ الغابرهْ ... واستأْصلوا شأْفته ودابرَهْ

ورفَّت السِّلمُ على الجزيرهْ ... صافيةً حياضها غزيرهْ

وحُبِّبَ الفتحُ إلى الامامِ ... لا بدّ للبُنيانِ من تَمام

فانساحت الكتائبُ انسياحَا[4] ... أَرسلها من يُرسلُ الرياحَا

خيلٌ لمَسْنَ أَثرَ البُراقِ ... بُورِكَ للشامِ وللعراقِ

اليُمْنُ من غُرّتِها للحافرِ ... ومَتْنُها من ظافرٍ لظافرِ

يقودُها أَلويةُ الجهاد ... أَشهادُ بدرٍ أَو بنو الأَشهاد

فكانت البصرة أَولَ الثمرْ ... ثم ترقى فى المنازل القمرْ

وفَتَحَ الله على القوّاد ... مفاتح النهرين والسواد[5]

واقتحموا الشامَ فزال شُومُها ... وضاق ذرعا بهمُ غَشُومُها

---

(١) اشارة الى فتنة بنى اسرائيل بالسامرى . (٢) أى موت الرسول عليه السلام . (٣) علم جنس على الأسد . (٤) اندفعت .
(٥) هو سواد العراق أى ريفه .

وسلكوا الجبالَ والفُروجا[1] وملكوا كالشُهُبِ البروجا
ونازلوا الرومَ بأَجنادينا فكان دنيا لهمو ودينا
يومٌ ، على ما شابه ، سعيدُ قد تكدُرُ الأَيام وهى عيدُ
فما ثنى القومَ عن القتال نَعِىٌّ والٍ أَو بشيرُ تالِ
فَتْحُ الفُتوحِ كان حِصتيْنِ تناصفا بين الخليفتينِ
حوى العتيق[2] مُبتدا مفاخِرهْ وأحرز الفاروق[3] عِزَّ آخِرهْ

* * *

فيا أخا الضرّاءِ والشدائدِ والناسُ إخوانٌ لدى الفوائدِ
وسابقَ الآل إلى التصديقِ وآوىَ الغار مع الصَّدِيقِ
وباسطَ اليمين والشمالِ وتُعرَف الرجالُ عند المالِ
وقدوةَ الزُّهّادِ بعد الهادى وصاحبَ الهجرةِ والجهادِ
وكاسى الأَراملِ الحُرّات وحالبَ الأَغنام للجارات[4]
ويا رحيما قلبُه رقيقًا بماله كم حَرَّرَ الرقيقا !
ومن قضى بعد غنىً فقيرا لم يجدوا فى بيته نقيرا
ذهبتَ بالخير واتعبتَ عُمَرْ ياويح مَن بعدَ أبى بكرٍ أَمرْ
رأَيتَ فيه ما رأى اللهُ لكا فكان فضلَ اللهِ ثم فضلَكا
عهداكما كجُمعةٍ فى عيدِ فى ظلِّ يومٍ بَهِج سعيدِ
اللهُ زفَّ الفتحَ فيه وهَدَى إلى قَنا الحقِّ ورايات الهدى

(١) الفروج متون الأودية أو متون الطرق . (٢) أبو بكر الصديق.
(٣) عمر . (٤) كان رضى الله عنه يحلب الغنم لجاراته .

الشمس لو كانت تُخَطُّ مَضجَعَا والبدر لو كان يقِلُّ الهُجَّعا

والصَّدَفُ التامَ على اليتائِم من فَرِدِ اللؤلؤ والتوائم[1]

والغِمدُ لو يَسكنه سيفان والجفنُ لو ينزلهُ طيفانِ

واللفظُ راق واحدًا وَرَاعَا حولَ معانٍ دقَّت اختراعا

كروضةٍ وارَتْكُما بالقاعِ من طينةِ الجنةِ لا البِقاع

خيرُ الأَنامِ وَردُها المصونُ وأنتما الأَوراقُ والغصون

صحابةُ الدنيا رفاقُ البرزخِ وإصبعٌ تحتَ الثرى كفرسخِ

إلا مقامًا قمتُما لن يَقبلَا تصرّفَ الدهرِ ولا حُكْمَ البلى

(١) توائم النجوم أو اللؤلؤ ما تشابك منها .

خلافة عمر بن الخطاب

مضى أبو بكرٍ ، وولَّاها عمرْ الشمسُ لاتُخلَفُ إلا بالقمرْ

ما مال حائطُ الهدى حتى اعتدلْ والركنُ إن سَدّ من الركن بدلْ

بزاهدٍ قام مكانَ الزاهدِ مُجاهدٍ نابَ عن المجاهدِ

قلَّده في نزعهِ الصلاةَ إن الوُلاةَ تَزنُ الولاةَ

بالمؤمنين نهض الأميرُ مضطلعٌ بأمرهم شِمِّير[1]

يوماه في الصُّحبةِ والإمامهْ كلاهما السَّرْحة[2] والغمامه

* * *

إسلامُه للدين كان عِزّا[3] رنَّح عِطْفَ المصطفى وهزا

صُلِّيَ في الكعبة لمّا آمنا وطاف بالبيت الطريدُ آمنا[4]

وكان في دين الجدود صُلبًا لا يأْتَلِي الدين الجديد ثَلْبًا

* * *

ثار إلى حيثُ النبيُّ مُوعِدا ومبرقًا بسيفه ومُرعدا

فجاءه مُوحِّدٌ من الزمَرْ وقال جيءَ أهلَكَ فانظر ياعمر[5]

---

(١) المجرب الماضي في الأمور . (٢) الشجرة العظيمة .

(٣) اشارة الى قول الرسول : اللهم ايد الاسلام بعمر بن الخطاب .

(٤) اى صار المسلمون يطوفون بالبيت مجــاهرين آمنين وكانوا لا يستطيعون ذلك . (٥) هو نعيم بن عبد الله .

وحدّتِ اللهَ ابنةُ الخطابِ ... وآمن السعيدُ فى الأَخطاب[١]

فجاءها معتزِمَ الشِّراس ... وكان صلبًا خشنَ المِراس[٢]

فراعه من الخِباءِ هيْنمه[٣] ... وصوتُ مستخفيةٍ مُرنّمهْ

فقال ما أَسمع ؟ قالت : طَه ... فلم يصوِّبْها ولا خطَّاها

قال ، وعِرفانُ الصوابِ مَكرُمَه ، ... فاطمُ هذا منطِقٌ ما أَكرمَهْ !

وآنستْ سكينةَ الحوارى ... من رجل فى صحوه سوَّار[٤]

كَحَمَلٍ مُدلَّلٍ صار الأَسدْ ... والصارمُ المسلولُ عاد كالمَسَدْ[٥]

كأَنَّما سقتْه أُمُّ ليلى[٦] ... أَو أَسمعتْ قيسًا[٧] حديثَ ليلى

فجاءَ نادىَ النبى فاهتدى ... وكبّر الهادى وهلَّ المنتدَى

انظرْ إِلى الحكمةِ كيف تُنشَدُ ... والنفسِ بعدالغَىِّ كيف تَرشُد

لا تقضِ بالعُبوسِ والطلاقهْ ... منَ امرىءٍ حتى ترى أَخلاقهْ

كم لَيِّنٍ كالصِّل[٨] يُخفى مَصرَعا ... وأَخشنٍ كالصخر يُؤوى مَشرَعا

ما اتّبع الحقَّ إِذا تغلبا ... كرجل فى باطلٍ تصلَّبا

والرأْىُ مثلُ العهد فى الجليلِ ... يرعاهُ مَن يرعاه فى القليل

* * *

إِن الذى رشَّح للمُلْكِ عُمرْ ... أَيّده بالعلم فى خير العُمُر

كفى بصحبة النبى مَعْلَما ... وبالنبى مرشداً ومعلِّما

---

(١) ابن عم عمر وختنه والأخطاب جمع خطب وهو الذى يخطب المرأة والمراد السعيد بكونه خطب فاطمة أخت عمر . (٢) المراس الأخذ والمعالجة . (٣) الصوت الخفى . (٤) ذو الحدة والشدة .
(٥) حبل من ليف . (٦) كنية الخمر . (٧) مجنون بن عامر .
(٨) الثعبان الخبيث .

مِن صَحِبِ النَّجمَ تعالى وانفردْ ... ومن دنا من ساحة البحر وردْ

علمٌ عليه من بيانٍ وخُلُقْ ... ثلاثةٌ مَنْ زِنَّ للمُلكِ خلقْ

عابوه بالشدة وهى حُسْنُ ... فى رجلٍ للحقِّ منه حصنُ

ميسَّر فى صُلْبِ والديهِ ... لتُفتَحَ الدنيا على يديهِ

بالعدلِ والدِّرةِ طار بالعرب ... وسار فى الجوِّ بهم وفى السَّرَب[1]

* * *

فلم يزل دِعامةَ الإسلامِ ... وهامةَ الصحابة الأعلامِ

سمْحًا جوادًا فى سبيل اللهِ ... نَدْبا[2] عن الحقوق غير لاهِ

مجاهدًا ببيضِه وسُمرهِ ... وشهْبِهِ ودُهْمِهِ وحُمرِه[3]

وعنبرَ العُبّادِ فى الجوامعِ ... وسَمَرَ الزهّاد فى الصوامعِ

وقاضيًا كالذَّكَرِ اليمانى ... لم يأْته فى سَنةٍ خَصْمان

حتى تلقّى الحظَّ. أَسنى أكبرا ... أَمَّ الصفوفَ وترقّى المِنبرا

حِباءُ[4] من قاس الصنيع وَقَدَرْ ... إن الجزاءَ بأَوانٍ وقدَرْ

فليس يدرى المسلمون سيّدا ... أبركَ وجهًا منه أو أندى يدا

من يلقَه فى طِمْرِه[5] يلاق ... ركنَ الحقوق حائطَ الأخلاق

وُلاتُه فى ملكهم رُهبانُ ... والفُلْكُ حيث ساقها الرُّبّانُ

خليفة يَعُسُّ فى الإعتام[6] ... ويطبخُ الطعامَ للأيتام

طريقُه فى العدلِ قطُّ ما سُلِكْ ... من ذا قضى لسُوقةٍ على ملِك[7]

(١) الطريق فى الأرض . (٢) الشهم المنتدب لعظائم الأمور .
(٣) أى يجمع خيله ودوابه . (٤) العطاء . (٥) الثوب البالى .
(٦) الظلام . (٧) اشارة الى حديث جبلة بن الأيهم الذى لطم سوقة فاقتص له عمر منه .

فتوحُهُ لِلْحق فَضْلُ الْبَارى … والجزْلُ منْ هِباته الكبارِ

اسْكَنْدَرُ الْخَيلِ وَإنْ لم يَرْكبِ … الأَرْضُ مِنْ أَيّامِهِ فى مَوْكِبِ

أَقامَ فى مَرْكَزِه بِيثْرِبَا … وَشَرَّق القنا به وغرَّبا

ثَوَى وساق نُجَبَ الصحابِ … بُورِكَ فى البحرِ وفى السَّحابِ

بَقِيَّةٌ مِنْ أُحُدٍ وَبَدْرٍ … مِنْ كل غابٍ طَلَعت وخِدرِ

مَحا مرُورُ الدَّهر مُسوَدَّ اللِّمم … وهم كأَمس حُمُسٌ (١) مُرْدُ الهِمَمْ

(بالْقُدْسِ) جيشٌ دونهُ رُهْبانُهُ … تحرّمت بِعَدْلهم صُلْبانه

وَجحْفلٌ تحتهمُ الإيوانُ … كلهمُو كِسْرَى أَنُو شرْوَانُ

وَفَيْلَقٌ على جَوَانِبِ الْهَرَمْ … تقلدُوا الحقَّ وسُرْبِلُوا الْكَرَمْ

لَوْ هَبَّ فرعونُ لخالَ مُوسى … بجانِبَيْهِ يَعْرِضُ النَّامُوسَا

تَعَهَّدُوا الْفَتْحَ بالاخْتِطَاطِ … وَوَصَلوا الْكُوفَةَ بالْفُسطاط

وَراءَهم مُسَهَّدُ الْفُؤادِ … موكَّلُ العيُونِ بالْقُوَّادِ

يَبْعَثُ بالزَّادِ وَيُرْسِلُ المدَدْ … وَيُنفِذُ الكتبَ ويأْخذ العُدَدَ

مُبارَكٌ على المدَى مَجْدُودُ … وللجدود كُلِّهَا حُدودُ

إذا دَعَا بِوَجْهِهِ مُشيرًا … نَحْوَ السَّماءِ اسْتَقْبَلَ البَشِيرا

حَتَّى جَلَا كِسْرَى عن المَدَائِنِ … وآبَ بالايوَانِ والخزائنِ

وشاطرتْهُ مُلْكَها الْقَيَاصِره … والقُدْس فيما بذلتْ وناصِرَه

فتحٌ يُرِى الحوادِثَ الإباءَ … إذا الْفُتُوحُ أَصبحتْ هَبَاءَ

---

(١) شبان اشداء لم تشب لهم همة .

أَهْدى على الدهْرِ إلى الاسلام ما بين أَعْلى النيل والسلام
أَرضٌ أَصابَتْ من نَدَى السَّماءِ خيرَ النَّباتِ وعُيُونَ الماءِ
وعالمٌ باقٍ على عَهْد الْعَرَبْ وإنْ مَضى الدهْرُ عَلَيْهِم وضربْ
ما ضَيَّع الدِّين وَلا اللسانَا ولا يَدَ الْفارُوقِ والاحْسانَا

عمر وخالد بن الوليد

وَاللهِ ما أدرِي ولا تدرى الزُّمَرْ　　ما كان بين ابنِ الوليدِ وعُمر[1]

سيفُ الإلٰه سَلَّهُ النَّبيُّ　　وَهَزَّهُ وَلِيُّهُ الحيُّ

---

(1) ابن الوليد — هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم أسلم سنة سبع للهجرة ، وهو أحد الذين انتهى اليهم الشرف فى الجاهلية من قريش . كانت اليه القبة والأعنة . فأما القبة فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش . وأما الأعنة فانهم كانوا على خيل قريش فى الحرب . كان أحد الأبطال الذين حاربوا أهل الردة . اشترك فى فتح العراق وفى فتوح الشام . كان قائدا عاما للجيوش الاسلامية فى الشام — فى أواخر خلافة أبى بكر الصديق — فبينا كان المسلمون فى ذلك اليوم المشهود — يوم اليرموك — فى أشد حالات الحرب . واشتداد الطعن والضرب جاء البريد من المدينة ينعى أبا بكر ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد وتعيين أبى عبيدة بن الجراح أميرا عاما للجيش مكانه . وفى رواية أخرى أن البريد جاءهم وهم على حصار دمشق . وروى الطبرى أن أبا عبيدة كتم عن خالد خبر عزله ريثما فتح دمشق وكتب لأهلها عهدا فأمضاه له . وحضر خالد ابن الوليد بعد امارته هذه معظم فتوح الشام متطوعا . وكان المسلمون يستمدون رأيه فى الحروب ويقدمونه على أمرائهم ساعة الحاجة . وكان أبو عبيدة يوليه الجيوش للفتح . فلما فتح فى امارة أبى عبيدة قنسرين التابعة لولاية حلب وانتهى الخبر بذلك الى عمر قال : أمر خالد نفسه . يرحم الله أبابكر هو كان أعلم بالرجال منى .

أما سبب عزله فأمران : الأمر الأول ما كان فى نفس عمر بن الخطاب عليه منذ قتل مالك بن نويرة فى حرب الردة . كان مالك بن نويرة رجلا متحيرا يقدم الردة قدما ويؤخر أخرى . قدم بالصدقات على أبى بكر رؤساء تميم كلهم كالزبرقان وصفوان بن صفوان ، ووكيع بن مالك وغيرهم الا مالك ابن نويرة بقى مترددا فقصد خالد بن الوليد البطاح وبث السرايا وأمرهم بداعية الاسلام ، وأن يأتوه بكل من لم يجب . وكان قد أوصاهم أبو بكر « أن يؤذنوا اذا نزلوا منزلا فان أذن القوم فكفوا عنهم . وان لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا . وان أجابوكم الى داعية الاسلام فسائلوهم عن الزكاة . فان أقروا فاقبلوا منهم وان أبوا فقاتلوهم » فكان بين الذين جاءت بهم الخيل مالك بن نويرة فى نفر من ثعلبة بن يربوع ، فأمر بهم خالد فحبسوا فى ليلة باردة ، ثم أمر مناديا فنادى دافئوا أسراكم . وهى فى لغة كنانة القتل . فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد الا الدفء فقتلوهم . وقتل معهم مالك بن نويرة . قتله ضرار بن الأزور ، وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك ، فلما انتهى الأمر الى =

أُغمِد لا كلاًّ[١] ولا مُقصِّرا   فى حَرْب كِسْرَى وقِتالِ قَيْصَرَا

تَوَجَّعَتْ لِعَزْلِهِ العُقاب[٢]   وحلّ بالمبرّأ العِقاب

ضغينةٌ[٣] لم تدع الإماما   حَتَّى رَمَى فى يَدِها الزِّماما

وزلَّة الكَبير أكبر الزّلل   وَإن أُحيطت بالطِلاءِ والعِلل

خاف الإمامُ أن يكون فِتنهْ   سياسةٌ عاليةٌ وفِطْنه

كم هاضتْ المماللكُ العظاما   مَخَافَةً أن يَقْطَعُوا النظاما

وكم مرجّى السبْقِ ماتَ بالكمد   قَدْ وَقَف النَّاسُ لَهُ دُونَ الأَمَدْ

أُعِيذُ مِنْ مَضلَّةِ الحقد عُمر   مثلُ الإمامِ بالمراشد ائتمرْ

لَعَلَّهُ أَبْصَرَ وَجْهَ مَنْفَعهْ   أَوْ خاف ضُرًّا فرَأَى أَنْ يَدفعه

فالسيْفُ لا تأمنُه أَنْ يَنْقلِبْ   كم غَلَبَ الحقُّ بهِ وكم غُلِب

= أبى بكر وعمر رغب عمر الى أبى بكر ثم ألح أن يستدعى خالدا ويقتص منه. فقال أبو بكر : يا عمر تأول خالد فأخطأ . فارفع لسانك عن خالد فانى لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين . فلما رجع خالد ودخل على أبى بكر وأخبره بجلية الخبر واعتذر اليه قبل عذره . ولكن عمر أهانه وأسمعه كلاما أليما .

الأمر الثانى — وهو الأهم — اقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد، وحبهم له ، واستماتتهم بين يديه فى كل مشاهده فى العراق والشام لشجاعته . وحزمه ، وتوفيقه فى الحروب ، وانتصاره على الأعداء . عرف هذا عمر بن الخطاب فوقع فى نفسه شىء منه ، وخشى من اقبال الناس عليه ، عرف أن فى نفس خالد من جهته ما فى نفسه من جهة خالد منذ قرعه ذلك التقريع الشديد عقب حادث مالك بن نويرة ، فبادر الى عزله قبل أن يصل خبر توليه منصب الخلافة الى المسلمين ، وخالد أمير على جيش عظيم منهم وقد جهر عمر بهذه الحقيقة ، فقد روى انه استدعاه بعد عزله الى المدينة فعاتبه خالد ، فقال له عمر : ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس ، فخفت أن تفتتن بالناس .

(١) الكل من السيوف الذى لا يقطع .   (٢) العقاب : قيل الراية ، وقيل العلم الضخم ، وقيل الحرب ، وكل يصلح أن يكون مرادا فى هذا المقام.

(٣) الضغينة الحفيظة أو الحقد .

فى طبْعِهِ الطيْرةُ والشرُورُ ... وَرَبُّه يوما به مغرُورُ
وكَيْفَ غَدُرَ ابنُ الوليدِ كَيْفَا ... اللهُ أَوْفى وَأَبرُّ سَيْفَا

* * *

عَجبْتُ مِمَّنْ ملكَ الزمانا ... ودانَ بعد فارس الرُّومانا
ومن قَنَاه كل يوم فى ظَفَرْ ... وخيْلُهُ من سفَر إلى سفر
تتكلُ الطيرُ على بنُوده ... ويَنْزِلُ النَّصْرُ على جُنُوده
تهَيّب الْبَحْرَ وخافَ حَرْبَه ... وحَرّمَ المُجاهدِين قُربه
ظل الولاةُ يَبْسطُون الرَّاحا ... فلا يُلَبّى لهمُو اقْترَاحا
كم حسّنُوا النّفعَ وقبّحَ الضَّرر ... خوفا على جُنُودِه من الغَرَر[1]
وقال لم يَأذَنْ ولم يُسلِّم ... لا أشترى الرُّومَ بنفسٍ مُسلِم
كان الامام وهو للعدل علمْ ... لم يُنصفِ الرُّومَ وللبحر ظلم
كم جرّ نفع المسلِمين الرُّومُ ... والبحرُ عز أبدا مرُوم
يَنْهَضُ بالملك العظيم فاتِحهُ ... لأَنَّهُ مِنَ الثرى مفاتِحهُ
فَيْروزُ منْهُ يَبْرَأ النَّصارَى ... ومِثْلُهُ إلى الْجَحيم صَارَا
لا دِينَ لِلْبَاغِى وإنْ تَدَيَّنَا ... كَفَى بِقَتْلِ النَّفْس ظُلْما بَيّنَا

---

(١) الغرر : الخطر .

شَكا إلى الخلِيفَةِ ابنُ شُعْبَه[1] لِكُلَفٍ يَزْعُمُهنّ صَعْبه
فَلَمْ يَجِدْهُ عُمَرُ مَظْلُومَا ولا رَأَى سيِّدَهُ مَلُومَا
وكانَ بالصَّنْعَةِ ذا إلْمام وَحَسْبُهُ شهادَةُ الإمام
إن يُذكر الرومُ اليهم ينْسب وَهو مِنَ ٱلْفرسِ وفى الرومُ سُبي
إنَّ انكِسارَ الفُرْسِ شرَّ كسرهْ صَيَّرَ وجْدَانَ الغُلَام حَسْرَهْ
فَباتَ لِلْفَاروق يُضْمِرُ الإحن بما أَصابَ قَوْمَهُ مِنَ المِحَنِ
والثّارُ بالأَهْلِ الْكِرَام وَٱلْوَطَنْ قَضِيَّةٌ قَدْ شَغَلَتْ أَهْلَ ٱلْفِطَنْ
لَوْ لَمْ تَلِدْهُ الأَرْضُ شَرَّ صِلّ ما اقْتَحَمَ الْمكَبّرَ الْمُصَلِّى
انْساب مَلأَى مِنْ نقيعِ سُمِّهِ حديدةٌ قَدْ لفّها بِكُمّهِ
أَغْمَدَها فى هَيْكَلِ الْجَلَالِ وشامَها فى كَرَمِ الْخِلَالِ
فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ ياعُمَرْ غامرَةً كَعَدْلِك الذى غَمَرْ

---

(1) ابن شعبة هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، هو فارسى الأصل من نهاوند ، كان قد أسره الروم ، ثم أسره منهم المسلمون ، ولما قدم سبى نهاوند صار أبو لؤلؤة لا يلقى منهم صغيرا الا مسح رأسه وبكى وقال : أكل عمر كبدى !

وقد ذكر المؤرخون عن مقتل عمر أن أبا لؤلؤة هذا شكا اليه ارتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة وطلب اليه تخفيضه ، فمن قائل انه وعده خيرا ، وعزم أن يخاطب المغيرة فى تخفيف الخراج عنه ، ومن قائل أنه سئل كم خراجك ؟ فقال : درهمان فى كل يوم ، قال : وما صناعتك ؟ قال : نحاس ، نقاش ، حداد . قال : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، فتوعده الغلام وانصرف فقال عمر : توعدنى العبد =

من لقتيلٍ بالسّفا[1] مُكفّنِ مرّتْ به ثلاثةٌ لم يُدفَنِ

تَعرِضُه نوادبًا أَراملُهْ ويشفقُ النعشُ ويأْبى حاملُهْ

قد حيل بين الأَرض وابن آدما ونوزِعتْ دارُ البقاءِ قادما

مُثِّلَ بالمهاجرِ[2] المُثنّى على عُلوِّ شأْنه والسنِّ

تنبو العيونُ اليومَ عنه جيفهْ وأَمسِ كان نورها خليفهْ

قد عُرِىَ المِنبرُ من أَسمائهِ ورفلَ المُصحفُ فى دمائهِ

تلازما تلازم اللُّماتِ[3] خِلَّيْنِ فى الحياة والممات

كنزٌ عليه نُقِبَ الجدارُ ورُقيتْ بالسارقين الدارُ

ومَلِكٌ بمَدْرج الأَوغادِ من رائحٍ يلطُمُه وغادِ

من كلِّ رُستاقٍ[4] وكلِّ حاضِرهْ عقاربٌ والنعلُ غيرُ حاضرهْ

أَتوْا من السواد والصعيد شقاوة للبلد السعيدِ

= ولما أضمر أبو لؤلؤة قتل عمر اصطنع له خنجرا له رأسان وشحذه وسمه ثم أتى به الى الهرمزان ، فقال : كيف ترى هذا ؟ قال : انك لا تضرب به أحدا الا قتله . فراح أبو لؤلؤة يراقب عمر ويترصده ، وبينما هو فى صلاة الغداة قام وراءه ، فلما كبر طعنه فى كتفه ، ثم فى خاصرته ، وقيل ضربه ست ضربات فسقط عمر ، وقام المصلون يحاولون القبض على أبى لؤلؤة فأخذ يطعنهم عدة طعنات أصابت مقاتل الكثير منهم .

(١) الغبار . (٢) عثمان رضى الله عنه . (٣) الأتراب .

(٤) الرستاق : القرية ، والحاضرة : المدينة .

لإحنةٍ أو غيّةٍ أو سَلَّهْ[١]　　وقلّ من جاءَ لخيرِ المِلَّهْ
وخِيضَ فى القضية السخيفهْ[٢]　　ومُلئتْ دارُ الرسول خيفهْ
وبخِلتْ بالنُّصرةِ الأنصارُ　　وأَخَّرتْ نَجدتَها الأَمصارُ
وقرّتِ الفتيانُ فى الحِجالِ　　وفرّتِ الشيخانُ بالآجالِ
وتعب الوصىُّ[٣] بالسفارهْ　　وانتُدبَ السِّبطان للخِفارهْ[٤]
وابنُ أبى بكرٍ[٥] مع الثّوارِ　　بغىَ الحوارىّ على الحوارى
ياليت شعرى كيف ولّاه على　　ليت الإمامَ المرتضَى لم يفعلِ
كيف يُولّى مصرَ مخضوبُ اليدِ　　من راشدٍ مُوفَّقٍ مؤيّد ؟
الرأسُ فى الشغْبِ[٦] سواءٌ والذَّنَبْ　　لا تبرأُ العقربُ من ذنْب الذَّنَبْ

* * *

إن محمدا على الشيخ افترى　　وجرّأَ الناسَ عليه واجترَى[٧]
آذاه فى حُجرتهِ مخذولا　　ممتنعًا قيادُه مبذولا
عاينَ فيها الموت أربعينا　　ينتظرُ الناعِى أو المُعينا[٨]
وشرُّ ما هبّ عليه الغافلُ　　إن حكمتْ فى العِليةِ الأَسافلْ
إبن ثمانينَ فتِىُّ النيّهْ　　مُوطَّنُ النفس على المنيهْ
لم يُعطهِم ، حيث النفوسُ تجزعُ　　خلافةَ الله التى لا تُنْزَعُ
أليستِ النفسُ تموتُ مَرّهْ　　فخذْ عليها أن تموتَ حُرّهْ

* * *

(١) السرقة .　(٢) يفهم القارىء ان شاء سخف القضية العثمانية من الأبيات الآتية .　(٣) على رضى الله عنه وكان السفير بين عثمان والثائرين .　(٤) هما الحسن والحسين وكانا فى خفارة عثمان .

(٥) كان محمد بن أبى بكر يدبر ويكيد مع الثوار .　(٦) الفتنة .

(٧) هو كما تقدم محمد بن أبى بكر وكان شديدا على عثمان محرضا عليه.

(٨) من ينقذه .

فان تسلْ ماذا أَتى عُثمان ؟ ... مما يردُّ الدينَ والإِيمان
تجدْ دَعَاوَى القوم لفّقوها ... وسِلَعًا بالدين نفّقوها
زرَوْا على الإِمام ما لا يُزرَى ... وأركبوه الحسناتِ وِزرا
واستنكروا عُلُوَّه بالدورِ ... عن دارةِ الثلاثةِ البدور[1]
وقال قومٌ خالف الأَترابا ... وحالف الثراءَ والإِترابا[2]
وكرهوا التمصيرَ والتمْدِينا ... وزعموا الدنيا تُعفّى الدِّينا
ويحهَمو ! ما لهمو وما لَهْ ؟ ... طاب وطيِّبَ الحلالُ مالَهْ
مالٌ كما شاءَ العفافُ والكرمْ ... زكا كهَدْيِ البيت أَو حَلْيِ الحَرَمْ
والزهدُ حالٌ للقلوب والنُّهى ... ما أَمرَ اللهُ به ولا نهى
وهذه الدنيا يدُ العظيمِ ... وسِرُّه فى مُلكِه النظيمِ
أَسكنها العقلَ فكانتْ أَشرَفا ... من كلِّ زاهٍ فى السماءِ أَشرفا
أَحلّ منها ما صفا مشارعَا ... وحرّمَ الآفاتِ والمَصَارِعا
وساقها للأَنبياءِ ترسُفُ ... هذا سليمانُ وهذا يوسفُ
وأَين من شأْنيْهما عُثمانُ ؟ ... على الذى خَوّلَه الرحمنُ
استقبحوا إِحسانَه العميا ... أَن يَشمَلَ القريبَ والحميا
وأَن يُناطَ القُطْرُ والولايهْ ... بمن له الصِّهرُ أَو الوَلايهْ
وردَّدتْ قولَهمو الغَوْغاءُ ... كما تُعيدُ القولَ بَبّغاءُ
واتُّخِذَ المشاغبون آلَهْ ... وقيل عثمانُ يخُصُّ آلَهْ

---

(١) هم متقدموه من الخلفاء .   (٢) الايسار .

رماهمو بعضُ الشيوخ من حسدْ ووقعوا فى الرأْس طعنا والجسدْ

* * *

ياحبذا وُلاتُه الأَخيارُ ورأْيُه فيهم والاختيارُ
من حَسَنِ السيرة بالأَمس أَمرْ تحت النبيِّ والعتيقِ وعُمَرْ[1]
كهلٍ على الأَمر قوىِّ الكاهلِ بين الحوارىِّ وبين العاهلِ
أَوْ ذى شبابٍ تُرتَضَى حكومتُهْ لا فضلُه خافٍ ولا أَرومتُهْ[2]
مُقدمٌ للفضلِ والأَرابهْ وليس للصهرِ ولا القرابهْ
يُضافُ مرفوعًا إلى الإمامِ إضافةَ البدرِ إلى التمامِ
فِتيانُ مُلْكٍ وبنو خلافهْ قد صَدقوا الأُبوّةَ الخلافهْ
قد فتحوا قُبْرُسَ للإمامِ بالسُّفُنِ المُزْجاةِ كالغمامِ
فأَصبح القاصى من البرّ اقتربْ وصار بحرُ الروم لُجَّةَ العربْ
وخفقتْ كتائبُ الإسلامِ فى البحر أَعلامًا على أَعلامِ
فخرٌ لذى النوريْن أَىُّ فخرِ وهمةٌ تذكَرُ لابن صخرْ[3]
يا طالما بالغَ فى الخطابِ فلم ينلْها من فتى الخطَّابِ
سبحان من فرّقَ فى الأَئمهْ ما جلّ من مَنقَبةٍ وهِمَّهْ
له الكمالُ وحدَه والمُلْكُ وهْو الدوامُ وسواهُ هُلْكُ

---

(١) أى جلهم كانوا عمالا لرسول الله وللعمرين . (٢) أصله ومحتده .
(٣) هو معاوية رضى الله عنه أول من أركب العرب البحر .

الخصمان

يا فطنا بسِيَر الكبار ... مُفتتنًا بغُرر الأَخبار

وطالبَ الجوهر فى التراجِم ... ملتمسَ التبر من المناجم

جِئتك بالبرجاس والمِرّيخ[١] ... خصمين بين يدى التاريخ

قَرنْتُ خيرَها تُقًى وعلما[٢] ... بخيرها سياسةً وحلما[٣]

بل قرنَتْ بينهما أَيدى الغِيَر[٤] ... وافترقا على التلاقى فى السِّيَرْ

أَبو الشهابين وهل يخفى القمر[٥] ... والثاقبُ الرأْى اللعوبُ بالزمر[٦]

أَو قيّمُ الدين ولا أحابى ... وقيِّم الدنيا من الصحاب

إن ذكر الآباء جاآ بالقمر[٧] ... جَدًّا تمناه العتيق وعمر[٨]

تحدرا مُزنيْنِ من غمامِ ... ولاقيا الديمةَ فى الأَعمامِ

قُربَى على تفاوت المنسوب ... كالمُوم والشهد من اليعسوب[٩]

---

(١) البرجاس المشترى يعنى بالبرجاس والمريخ عليا ومعاوية .

(٢) عليا . (٣) معاوية . (٤) يريد بالغير ما شجر بين على ومعاوية . (٥) على والشهابان الحسن والحسين . (٦) معاوية .

(٧) عبد مناف وهو جدهما الذى يلتقيان فيه . (٨) العتيق أبو بكر .

(٩) الموم الشمع ، اليعسوب امير النحل .

أمير المؤمنين على بن أبى طالب

أَما الإِمام فالأَغر الهادى … حامى عرينِ الحق والجهاد

العُمرانِ يأْخذان عنه[١] … والقمران نسختان منه[٢]

أَصلُ النبى المجتبَى وفرعُهُ … ودينُه من بعده وشَرعُهُ

وصفحتاهُ مقبِلًا ومدبِرًا … وفى الوغا وحين يرقى المنبرا

يدنو إلى ينبوعِه بيانا … ويلتقى بحراهما أَحيانا

الحجر الأَول فى البناءِ … وأَقرب الصحبِ بلا استثناءِ

وأَزهدُ الناس وفى الدنيا يدُه … وأَخشع العالم وهو سيده

وجامعُ الآيات وهى شتى … وسُدةُ القضاء بابُ الإفتا

والسُّهدُ الآوى إلى أَشواقِه … إذا الظلامُ مدّ من رواقه

بحرُ الهوى والقوم رُكْبُ السُّفنِ … كم من شِراعٍ دون عِبريه فنى

يا ليت شعرى والأُمور تَخفَى … والفكرُ فى هذا الطريق يحفَى

ما ساءَ هذا الناس من عَلِىٍّ … وحاد بالناصرِ والولِىِّ

وغرَّ بالليث الذئابَ العاويهْ … وسهّلَ الغابَ على مُعاويه

قيل دم الشيخِ الضعيفِ المُسلَمِ[٣] … يطلبه اللهُ وكلُّ مسلمِ

---

(١) العمران أبو بكر وعمر .

(٢) القمران الحسن والحسين .

(٣) عثمان .

تركُ الإمامِ قاتلَ الإمامِ   أخلّ بالهيْبة للزمامِ
وقيل بل أدلّ بالمكانه   ولو تصورَ الخشوع كانه
والزهوُ أحيانا من المعانى   إن سال من معاطف الشُّجْعان
وقيل فى سياسة الطباعِ   وفى المداراة ، قصيرُ الباع
لو صانع الإمامُ أو تأنّى   ما بلغ الشامىُّ ما تمنى[1]
وقيل عِلمٌ ما له انتهاء   لم يَجرِ فيه الرأىُ والدهاءُ
فى ثقةٍ بمن به لا يوثَقُ   ولا يدومُ عهدُه والموْثِقُ
ونبذُ رأى الناصح المماحض[2]   فى قُحَم الأَمر وفى المداحضِ[3]
وقيل أخفى للثلاثة الحسدْ[4]   وكادتِ الجيفةُ تأْكلُ الأَسد
لا بل هو المنازعُ التوّاقُ   طِلبتُه الأَعباءُ والأَطواقُ
سما اليها بعيونِ الفضلِ   وحنّتِ الحسناءُ تحت[5] العَضْلِ
من كان فى منزله الرفيع   يدرِ مكانَ مِنبَرِ الشفيعِ
وطالما استأْخرَ غيرَ فاحمِ   ولاذَ بالحياءِ لم يُزاحمِ
يا جبلا تأْبى الجبالُ ما حَملْ   ماذا رَمت عليك ربةُ الجمل[6]
أثأْرُ عثمانَ الذى شجاها   أم غُصةٌ لم يُنتزَعْ شَجاها
قضيةٌ مِن دمه تبنيها   هبّتْ لها واستنفرتْ بنيها[7]
ذلك فتقٌ لم يكن بالبالِ   كيدُ النساءِ مُوهِنُ الجبالِ

---

(١) الشامى معاوية .   (٢) أمحضت له النصح اذا أخلصته .
(٣) القحم الأمور العظام الشاقة ، والمداحض المزالق لا تثبت عليها الأقدام .   (٤) الثلاثة الصديق وعمر وعثمان .   (٥) العضل حبس المرأة عن الزواج .   (٦) عائشة أم المؤمنين .   (٧) قضية من دمه — اى دم عثمان .

وإن أُمَّ المؤمنين لامرأه　　　وإن تَكُ الطاهرة المبرّأه

أَخرجها من كِنّها وسِنّها　　　ما لم يُزِلْ صولُ المدى من ضِغنها

وشر من عَداكَ من تقيه　　　وَمُلقِيَ السلاحِ تلتقيه[١]

جهزها طلحةٌ والزُّبيْرُ　　　ثلاثةٌ فيهم هدى وخير

صاحبةُ الهادى وصاحباهُ　　　فكيف يمضون لما يأْباه ؟

ياليت شعرى هل تعدوْا وبغوْا[٢]　　　أم دمَ ذى النورين بالحق بَغوْا ؟

جاءت إلى العراق بالبنينا　　　قاضين حق الأُم محسنينا

فانصدعتْ طائفتينِ البصرهْ　　　فريق خذل وفريق نُصْره

أَو ذادةُ البَيعةِ والذمامِ　　　وقادةُ الفتنةِ والزمام[٣]

وانتهكَ الحىُّ دماءَ الحىِّ　　　من أَجل ميت غابر وحىِّ

وجاءَ فى الأسد أَبو تُرابِ[٤]　　　على متون الضُمرّ العِراب[٥]

يرجو لصَدعِ المؤمنين رأبا　　　وأُمُّهم تدفَعُه وتأْبى

وعجزَ الرأىُ وأَعيا الحلمُ　　　وخُطبتْ بالمرهَفاتِ السِلمُ

من كل يومٍ سافكِ الدماءِ　　　تعوذ منه الأَرضُ بالسماءِ

تجرُّ ذاتُ الطهرِ فيه عسكرا[٦]　　　وتَذمُر[٧] الخيلَ وتُغرى العسكرا

ظل الخِطامُ من يدٍ إلى يد[٨]　　　كالتاج للأَصيد بعد الأَصيد

---

(١) أى شر من ظلمك من تلتقيه وأنت ملقى السلاح لا تشهره فى وجهه ومن لا ترى بدا من تجنب ايذائه .　(٢) يقول ان عائشة وطلحة والزبير جاروا وظلموا بخروجهم على على .　(٣) أى زمام الجمل الذى كانت تركبه عائشة .　(٤) فى الأسد : جيش على ، وأبو تراب كنيته .

(٥) متون : ظهور ، والضمر جمع ضامر ، والضمر الهزال وهو ممدوح فى الخيل ، والعراب الخيل الكرائم الخالصة من الهجنة .　(٦) اسم الجمل الذى كانت تركبه عائشة .　(٧) تذمر الخيل تحثها .

(٨) الخطام : خطام الجمل .

مستلَما توهَى الغيوثُ دونَه   وبالدماءِ أنهرًا يفدونه
حتى أراد اللهُ إمساك الدمِ   فى كرمٍ لسيفه المقدّم
وظفرتْ ألويةُ الأمام   وألقتِ البصرةُ بالزمامِ
فرُدّتِ الأُمُّ إلى مقرِّها   مبالَغًا فى نقلِها وبِرِّها
وظلّلت مَن حلّ أرضَ الملحمهْ   من الفريقين سماءُ المرحمهْ
هلكى بكى البيتُ عليهمْ والحرَمْ   الموتُ دون العهدِ غايةُ الكرمْ

* * *

يا يوم صفّين بمن قضاكا   هل أنصف الجمعان إذ خاضاكا
فيك انتهى بالفتنةِ التراقى   واصطدم الشآمُ بالعراقِ
ونفدتْ بقيةٌ من صَحبِ   تلقتِ الطعنَ بصدرٍ رَحبِ
بنو الظُّبَى ، أبوّةُ الأسنّهْ   آلُ الكتاب أولياءُ السُّنهْ
لقد وفَى بدرٌ لهم أهلّهْ   وخنتَهمْ مَشيخَةً أَجلهْ[1]
لو فى بناءِ المجد ذلك الدم   بل عمدوا لما بَنَوْا فهدَموا
فيا مجالًا قصرَ الأَعنّهْ   ومدّ فى اشتجارِها الأَسنّهْ
ترجرجتْ بالفئتين أرضهُ   وضاق عنهم طولهُ وعرضُه
ووقع الأَنجاد بالأنجاد   وخرّ «عمار» من النِّجادِ[2]
ما كان ضرّ نصراء[3] البيعه   لو صبَروا على الوغى سُويعة
بينا بُنودهمْ هى العوالى   والنصرُ حولَ البيض والعوالى
غادرهُم بسحره معاويهْ   كأنهم أعجازُ نخلٍ خاويه

(١) خانهم يوم صفين وهم شيوخ أجلة ، ووفى بدر لهم وهم شباب أهلة.
(٢) هو عمار بن ياسر وقد خر وهو يقاتل . (٣) نصراء البيعة اصحاب على .

أَلقى القنا وشرع المصاحفا　　يَنْشُدُ بالله الخميس الزاحفا[١]
فلا تسلْ عن فشلِ العزائمِ　　ولم يزلْ طليعةَ الهزائمِ
انقطع النّظمُ والانقيادُ　　وحكمتْ فى الشُكمِ الجياد
وافتيتَ فى الرأى على الأَعيانِ　　وهُدِّدَ الإمامُ بالعصيانِ
ما كان فى قبوله التحكيما　　على علو رأْيه ، حكيما
لا يُرفعُ المُصحفُ كالدفوفِ　　والسِّلمُ لاتُذكَرُ فى الصفوفِ
ورأْيه فى الأَشعرىّ أَعجبُ　　لله فيه قدَرٌ مُحجَّبُ[٢]
أَين أَبو موسى وأَين عَمْرو　　لايستوى مجرّب وغَمرُ[٣]
أَمن دها قيصرَ والمقوقَسا　　كمن على مصحفه تقوّسا ؟
قام فردّ الرجليْن ونزل　　وقام عمرو فأَقرّ وعزل
أَن عليّا وارتضى معاويه　　ونقَض المِنبرُ عَقد الزاويه
يَا زيْدَ[٤] أَكلِّ مُسرَجٍ ومُلجَمِ　　كيف علا غُرتَك ابنُ ملجم[٥]

(١) الجيش الهاجم . (٢) هو أبو موسى الأشعرى .
(٣) الغمر غير المجرب . (٤) أى يا زيد الخيل . (٥) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى ، كان من أهل مصر وهو الذى قتل عليا بن أبى طالب . فقد اجتمع ملجم هذا ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمى فى مكة مع آخرين من الخوارج سنة أربعين وتحادثوا فى أمر النـاس وفيمـا هم فيه من الحروب والفتن والشحناء فتعاهد الثلاثة على أن يكفوا الناس عليا ، ومعاوية ، وعمرا بن العاص ، فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم عليا . ثم أقسموا بالله ألا يرجع أحد منهم عن صاحبه الذى توجه اليه حتى يقتله أو يموت دونه ، فأخـــذوا أسيافهم فغمسوها فى السم وذهب كل الى غرضه . ومضى ابن ملجـم حتى أتى الكوفة فالتقى فيها بجماعة من تيم الرباب ـــ قتل منهم على يوم النهـــر عشرة ـــ وفيهم امرأة يقال لها قطام ـــ قتل على أباها وأخـاها يوم النهـــر أيضا ـــ بارعة فى الجمال ، فلما رآها أذهلته فخطبها ، فقالت له لا أتزوجـك حتى تشفينى . فقال وما يشفيك ؟ قالت : ثلاثة آلاف ، وعبد ، وقينة ، وقتل على . قال هو لك مهر ، أما على فلم أرك ذكرته لى وأنت تريديننى ، وقتـل بل التمس غرته فان أصبت شفيت نفسك ونفسى ويهنئك العيش معى ، وان قتلت فما عند الله خير وأبقى . فقال لها : والله ما جئت هذا المصر الا لذلك ، ثم اختارت له مساعدا من قومها واختار هو مساعدا آخر ، فلما كانت ليلة =

أَصاب قَرنًا لا تُرامُ شمسُهُ   أعيا على الأَقرانِ دهرًا لمسهُ

بالمرهَفِ المسموم فيما قد ذُكِرْ   وكلّ شيءٍ قَتَلَ ، الماضى الذكر

يا شؤمَ سيفٍ قطع الصلاةَ   واغتر ليثَ الغابة المِصْلاتا[1]

ولم يك ابنُ ملجمٍ صُعلوكا   بل غاليًا يقتحِمُ الملوكا

وضاريًا فى دمه العُدوانُ   لم يَخلُ من أَمثاله أَوانُ

وقال قومٌ ذاك مُسلِمٌ نقِمْ   حكومةَ القرآنِ فهو منتقِمْ

قولٌ غدا عند النُّهَى مرفوضًا   لو صح راح العالمون فُوضَى

الرأْىُ للأُمةِ فى الوُلاةِ   وليس للغِضابِ والغُلاةِ

وقتلُكَ الانسانَ غِيلةً شَنِعْ   الجبنُ أَن تَقْتُلَ من لايمتنِعْ

النفسُ لله وللنظامِ   والدمُ إِحْدَى الحُرَمِ[2] العِظامِ

فكيف بالبغى على عَلىّ   الراشدِ المقرَّبِ الولىِّ ؟

* * *

مالكَ والناسَ أَبا ترابِ !   ليس الذئابُ لك بالأَترابِ

هم طرّدوا الكليمَ[3] كل مَطرَدِ   وأَتعبوا عَصاه بالتمرّدِ

وزيّنَ العِجلُ لهم لما ذهبْ   وافتتَنوا بالسامِرىِّ والذهبْ

وبابن مريمٍ[4] وشوْا ونمُّوا   واحتشدوا لصَلبهِ وهمّوا

وأَخرجوا محمدًا من أَرضه   وسرَحتْ أَلسنهُم فى عِرضه

وغيّبوا المسوِّىَ الفاروقا[5]   وخيرَ شمسيْهم لهم شروقًا

= **الجمعة** ١٥ من رمضان ترصدوا له حتى خرج يريد صلاة الصبح فضربه ابن **ملجم فى** قرنه بالسيف وهو ينادى « الحكم لله لا لك ياعلى ولا لأصحابك » .

(١) الماضى فى الأمور ، واغتره : أتاه على غرة . (٢) اى النفس لله وللشرائع يحكمان فيها . (٣) موسى عليه السلام . (٤) هو السيد المسيح . (٥) هو عمر بن الخطاب .

وذبحوا الشيخَ[١] على الفُرقانِ حتى بَكى الذِّكْرُ[٢] بدمعٍ قانِ
وهبَّ منهم من لحقِّكَ اختلسْ وفَجعوكَ بالصلاة فى الغلسْ
وأشرقوا الحسينَ بالدماءِ[٣] ملوَّحًا بين عيون الماءِ
فاسمُ سموَّ الزاهدِ الحوارى فى درجاتِ القرْبِ والجوارِ
إن زالَ مُلكُ الأرضِ عنكَ من مَلِكْ يا طولَ ملكٍ فى السماءِ تم لك!

---

(١) عثمان بن عفان . (٢) القرآن . (٣) هو الحسين بن على وقد قتل ظمآن فى كربلاء .

معاوية

فى الدهر لم تصنع قيون الهندِ ... ولم يَسُلّ الشرق كابن هندِ
العبقرىّ الملك الخليفه ... السعد كان أبدًا حليفه
ما زال بالحبال والعِصىّ ... من سحره ففاز بالوصىّ
أرسل فى حب الأُمور الرسَنَا ... وفى هوى الدولة جافى الوَسَنا
حتى نعى عليًا النُّعاة ... فانقلبت ملوكًا الرعاةُ
وراقت الدنيا ورق الدينُ ... وانفجر التمصير والتمدينُ
وصيّر البيتَ سليبَ الحقِّ ... والآلَ من سيادةٍ لرقِّ
قد نَصبَ الحِلْمُ لهم حبائلَا ... ورُبّ حِلمٍ جمع الغوائلا
وراضَ من شكائِم الأُباةِ ... بهيبةِ المُلْكِ وبالهِباتِ
فذالت الأَخلاقُ والنِيّاتُ ... وبذلتْ واديَها الحيّاتُ
وثَمَّ ما يسأَلُ عنه اللهُ ... وصاحبُ الدين ومَن تلاه
قطعُ نظام العهد فى الإِسلام ... وأَخذُه البيعةَ للغلامِ
حتى علا التاجُ على العِمامهْ ... وعاد مُلْكًا نَسَقُ الإِمامهْ
جنايةٌ أدركت الأَجنّهْ ... ووقفتْ للدين فى الأَعنَّهْ
تحت هوى الآباءِ للأَبناءِ ... حبُّ البقاءِ وقِلَى الفناءِ
تشبّثُ الوالدِ بالمولودِ ... يُحسَبُ من تَوهُّمِ الخلودِ

إرفع قواعدَ الفَخَار وابنِ ‌‌ لا تدّعِمْ على أبٍ ولا ابنِ
لايرفع الجِذعُ عن الأرض الثمرْ ‌‌ ولا يحطُّ نسبُ الليل القمرْ

* * *

لا تعجبنّ من عظيمٍ ما فَتَقْ ‌‌ واعجبْ له كيف تلافى ورتَقْ
ما كلُّ ذى حربٍ وذى لدادِ ‌‌ بجابر الوَهْيِ ولا سدّادِ
جوّ الولايات خلا لنَسرهِ ‌‌ واجتمع الأَمر له بأَسرهِ
فلا تسلْ عن انبساط المُلْكِ ‌‌ ورفق رُبّانيِّه بالفلْكِ
الشرقُ تحته كخيرِ عهدِهِ ‌‌ والغرب يقضى ليلَه بسهدِهِ
مباركٌ لقومه فى عُمرهِ ‌‌ ميمونة لهم معالى أمرهِ
رَبِّ اعفُ عن جرأته عليكَ ‌‌ فالعفو منك والرضى إليكَ
لم يعلُ فى العفو عليه كُفْو ‌‌ فأَرِه كيف يكون العفو

ما بالُ قصرِ الشمعِ لايُضاءُ ؟ … هبَّ على مصباحه القضاءُ

لا فِتيةُ الرومان فى بُروجِهِ … ولا غوانيهمْ على مروجِهِ

ولا الليالى حوله أَعراسُ … وفوقه وتحته أَحراسُ

وما لبابليون من بَعد العجمْ … أمستْ رجاماً فى نواحيه الأَجمْ ؟

لم تُغنِ عنه رفعةُ الأَسوارِ … ولا جثومُ الأَسد الأُسوارِ(1)

وأَين فى أفقيْهما(2) فسطاطُ … للنجم عن سُدّتهِ انحطاطُ

قد أَلقيا إليه بالمَقالدِ … وخرجا من طارفٍ وتالدِ

سُرادقٌ ينفذُ حُكمُ ربّهِ … من منبع النيل إلى مَصبّهِ

أَوى إلى أَطنابه اليمامُ … لأَنها الرحمةُ والغمامُ

وأَمِنَ الأَعزلُ فيه الشاكى … وحذر المشكوّ صوت الشاكى

حَفّتْ به القبابُ والخيامُ … وسالمتْ ضاربَه الأَيامُ

لم يبق من ذلك إلا مَسجدُ … عالٍ على باع الخطوب مُنجدُ(3)

كالكعبة الرفيعةِ الدعامِ … ما حُجَّ إلا مرةً فى العامِ

إن كان لم يَعلُ عُلوّ الهيكلِ … وليس بالملوّنِ المُشكَّلِ

لقد تردّى حُلَلَ الجلالِ … بالبانييْن الحقِّ والحلالِ

---

(1) الوثاب . (2) ضمير راجع لقصر الشمع وحصن بابليون .
(3) مرتفع .

أميرُ كلِّ هيكلٍ ومعْبدِ فاتهما بالسؤدد المؤبّدِ
نسّى الديانات بمصر قبلَهْ ولا يزال للقلوب قِبْلَهْ

* * *

إسلامُه وخالدًا فى آنِ حلّ على الشِّرك به رُزآن
السيف والرأى بيوم أجْمَعَا واستأْذنا على محمدٍ معًا
فانقلب الحق بهذا فرددا[1] وعاد هذا بالهدى مُسدّدا
بالفاتحيْن بُشِّر الإسلامُ واستقبلت آمالَها الأعلامُ
كلاهما كان رِضى النبوّهْ لم تَشكُ كَلَّه ولا نُبُوّهْ[2]
وباز من صاد وسهمُ مَن رمى من الهُداةِ الراشدين الكُرَما
ما ضرّ عَمْرًا مُنضِجَ الهواجرِ إن كان لم يَنصُرْ ولم يُهاجِرِ
كم هجرَ النومَ أبو محمدِ واكتحل العِثْيَرَ بعد الإثْمَدِ

* * *

عَمرُو القنا والرأى والجدودِ رمى به الفاروقُ فى الحدودِ
على فلسطينَ حَمَى الراياتِ وحملَ الخيلَ على الغاياتِ
إذا المَضيقُ لم يجد مَضاءَ للسيف ، قام رأيُه فضاءَ
حتى حوى لعُمَرَ الإقليما وحاز للإسلام أورشليما
فتحٌ تولّى صَكَّه الإمام وأُخِذَ الميثاق والزمام
ياصخرةَ الله اشهدى أن عُمَرْ أبرُّ من نهى وأوْفى مَن أمرْ

* * *

(١) أى سيفا ماضيا . (٢) كل السيف لم يقطع ونبا عن الضربة ارتد عنها .

سما إلى مصرَ بطَرْفٍ وطمَحْ ... ولم يزل بعمَرٍ حتى سمحْ
وجّهه فهبّ والغزاةَ ... كما أطار الصُّيَّد[1] البزاةَ
يطوى بهم طابخةَ الركائبِ ... آكلة البعوثِ والكتائبِ[2]
أنعاكِ أم أسقيك من بَيْدَاءَ ؟ ... كانت دواءً أبدًا وداءً
ماذا دهى مصرَ من الطوارى ... ولقيتْ من ذلك الجوارِ
كم رَعتِها بداهمٍ جرّافِ ... وآفةُ الجسم من الأطرافِ
وربّ جلّادٍ على جلّادِ ... سَلّطتِ ويلين على البلاد[3]
كم عصفتْ منكِ السوافى الهوجُ ... وهبّتِ الحاصبةُ السيهوجُ[4]
وكم بعثتِ بالمبشِّرَاتِ[5] ... على موات الحق منشراتِ
وكنتِ إن أرسلتِ رائدينا ... طويتِ دِينًا ونشرتِ دينا

* * *

شُرِّفتِ بالعذراءِ والمهاجِرِ[6] ... وبالخليل آيبا بهاجَر
وسيق فيك يوسف جليبا ... فلقِىَ التمليكَ والتغليبا
ووطِئتْ بساطَك الأسباطُ ... وانتظم الشملُ والاغتباطُ
وحُزتِ موسى جائِلًا وجائبا ... يستقبلُ الآياتِ والعجائبا
ومُصبحًا بقَفرةٍ ومَجهلِ ... ومُمسيًا بربوةٍ ومَنهلِ
وطالِعًا مخارمَ الجبالِ ... وقابسَ النور على الأَقبالِ[7]

---

(١) جمع صائد والبزاة جمع باز . (٢) اشارة الى الصحراء .
(٣) أى رب غاز فاتح رميت على وادى النيل فجاءه غاز آخر من الجيوش المغيرة يخرجه فكانا ويلين على البلاد . (٤) السيهوج من الرياح الشديدة .
(٥) المبشرات الرياح الطيبة ، اشارة الى الذين دخلوا مصر من الصحراء من الرسل والحواريين . (٦) عيسى اذ هو طفل .
(٧) المرتفعات من الأرض .

ترمين أَرضَ النيل عن قوس الفَلَكْ
يوما بشيطانٍ ويوما بملَكْ

تهدين نورًا تارةً ونارا والطامس المنارِ والمنارا
حتى مشتْ كتيبةُ الحوارى عليك كالأَنواءِ والأَنوار[1]
وما النجومُ الزُّهْرُ حَفّتْ بالقمرْ أَروعَ من عَمرٍو على خيل عُمَرْ
ولاقنا الأَسباط[2] حول يُوشَعا أَعفَّ من قناهما وأَخشعا

* * *

كتيبةٌ قليلةُ العديدِ كثيرةٌ بدِينها الجديدِ
طوتْ إلى مصرَ القفارَ طيًّا وركبتْ رياحَها مَطيًّا
فبلغ العُمْرانَ عمرٌو فرمى بجمعه الروم حِيال الفَرَمَا[3]
تسلقوا حصونَها تَسَلُّقا واقتحموا ما ردَها والأَبلقا
واخترقوا التخومَ والحدودا سبحان من يُداول الجدودا
ورووِدتْ ببلبيسَ حتى أذعنتْ ورُكبتْ بالمسلمين إذ عنتْ
ترجّل الحماة عن حصونها ونزل الأُباة عن مَصونها
وظلَّتِ الخيلُ تجوب الوادى أَندى على الريف من الفوادى
يسيرُ فى رُخائها المَلّاح ولا يحسُّ وطْأَها الفلاح
حتى بدت منازل الرومانِ ساهرةَ الْخَطِّىِّ[4] واليمانى
فى حضنِ حِصنٍ أَو ذَرَا لواءِ بعيدَىِ المَصْعَدِ فى الْجواءِ
فنزلوا سوادَ عينِ شمسِ وِسادهم رِحالهم كأَمسِ

---

(١) الأنواء الأزهار والأنوار الأضواء . (٢) الاسباط من اليهود كالقبائل من العرب . (٣) موضع من الحدود كان محصنا .
(٤) الرمح والسيف .

وجثموا الَّا عيونا ساميهْ   تجسُّ حصنًا أو تجوس حاميهْ
فخرج الرومانُ للقتالِ   فى جحفلٍ مدجَّج مُختالِ
رحى الوغى بمثله تدور   وقطبها فى قلبه (تِيدور)
ليس لعَمرٍو ما له من كثرهْ   وخوْذةٍ وشِكَّةٍ ونثرهْ
فأَقعد الغازى له الكمينا   وأخذ الشِّمالَ واليمينا
يومٌ عليه بنيتْ أيام   لأَمةٍ جدودها قيام
من يصطبرْ للصدمة الأُولى يَسُدْ   لايصلح الفَلُّ[1] ولو كانوا الأُسُدْ
بباب أليونَ تيودور اعتصمْ   فيمن وَهَى من الصفوف وانفصمْ
وجىء بالأَمدادِ والسوادِ   من شحنةِ الروم وقِبطِ الوادى
وظن أن الحصنَ مُعجز العربْ   فما لهم غير النكوص مُضطَربْ
فان أَبوْا أَدّبهم بيومِ   ما بعده قائمةٌ للقومَ
فوردتْ كتيبة الزُّبَيْرِ   وعُمَرٌ مصدرُ كلِّ خيرِ
وظل بابليون وهو عاصِ   على الزبيْرِ وعلى ابن العاص
حتى تسوّرَ الزبير سورَه   واغترّ فى وُكونها نُسورَه
مشى على ناقوسِه مكبِّرا   يا لكَ ناقوسًا أُحيلَ مِنبَرا
أَوْفَى على القوم فريعَ البرج   بفارسٍ له السماءُ سَرْجُ
صوتٌ هفا فى الحصن بالعزائمِ   كنبْأَةٍ فى جوفِ أَيْكٍ نائمِ
فضاع رشد الروم والصواب   وفُتحتْ من نفسها الأَبوابُ

---

(١) بقية الجيش المنهزم .

تبارك الله وجلّتِ العربْ ... لم يَثْنِهم جوٌّ ولم يَعُقْ سَرَبْ

من فتْح بلبيسَ لعين شمسِ ... لايُصبِحُ الضيغَمُ حيث يُمسِى

وركب[1] العِلْج العصا[2] بمن معهْ ... إلا قليلا غودروا فى المعمعهْ

يبغى دمنهورَ بهم فجاءَها ... فى مَدَد قد ملأُوا أَرْجاءَها

وإذْ على آثاره خيل العربْ ... وخيله من هرب إلى هربْ

بعد قتالٍ جال فيه الروم ... وطاح أبطالهمو القروم

واندفعتْ خيل الإمام تعدو ... ويقدمُها اليمن ويحدو السعد

حتى بدا الثغر فودّتْ قُبلهْ ... كما اشتهى العبْسىُّ[3] ثغرَعَبلَهْ

ورابطتْ فجرّتِ الأَرسانا ... والتفتتْ تعاتب الفرسانا

وطيفَ بالثغرِ فلا ثنيّةْ ... إلا عليها رَصَد المنيّةْ

فكيف لا يودِى برشد قيصرا ... أَو بصواب قومه أن تحصَرا

أَقامهمْ سقوطها وأَقعدا ... وزعموه فوق طاقة العِدا

* * *

وكان فى الاسكندرية الملا ... أملكَ فى سلطانهم وأَكملا

جموعهمْ فى ساحها بلا عَدَدْ ... والبحر يغدو ويروح بالمدَدْ

ومن أَصاب البحرَ فى سلطانِه ... عدّ جميعَ الأَرض من أَوطانِهِ

تقضَّتِ الأَيام والشهور ... والسيف فى غير وغىّ مشهور

يفترُّ عن لألائه فم الْجُمَعْ ... وتختها للثغر خوفٌ وطمعْ

---

(١) كل عظيم من الروم . (٢) ركب العصا أى هرب ، من المثل المشهور : فاز من ركب العصا ، والعصا فرس لها قصة .

(٣) عنترة المشهور وعبلة حبيبته .

وربه يستنزل الرومانا ... ويعرض الإصلاحَ والأَمانا

حتى أُعينَ رَجُل الإمامِ ... برَجل القياصر الهمامِ[1]

وفُتحت مدينة الإسكندرِ ... صُلحًا وصفوًا ليس بالمُكدَّرِ

تأَخَّر السيف وشارط. الندى ... يا غَبن من يُشارط. المُهندا

فقيل راعى المسلمين الوالى ... وكان فى السرِّ لهم يُوالى

وقيل بل ذو مأْربٍ أَرادا ... بسُلطة الكنيسةِ انفرادا

وكان فى فَروق سلطان البِيَع ... تعنو له فى سائر الأَرض الشِّيَعْ

حكم جفاه الاعتدال وقسا ... إِنى أَراهم ظلموا المُقوقَسا

لعله تبيَّن الحقائقا ... وذاد عن مصرَ بلاءً حائقا

ووجد الرومان والقياصرا ... لايَملكون فى البلاد ناصرا

يرونها العنف والاستكبارا ... ولا تُحبُّ الأُمَمُ الجبّارا

مما مضى الدهر عليه والأَوَلْ ... أَن النجاحَ لفتيّات الدُّوَلْ

---

(١) هو المقوقس عظيم القبط يوم ذاك .

خالد بن الوليد

مَن طَبع السيفَ ومن جلَاهُ ؟ هل يصنعُ الآياتِ إلا اللهُ ؟

إنْسُ الحديد ، بَشَرُ الفِرنْدِ ليس بصنع يمنٍ أَو هندِ

وكيف لا يَصحبه المَضاءُ وقينُه المقدارُ والقضاءُ

قُلِّدَه من ربّه محمَّد يسُلُّه بإذنه ويغمِدُ

خُلِقتُ لا أَعظِّمُ السيوفا إلا الشريفَ العالىَ العَيوفا

المفتدى بحده من مظلمهْ والمهتدَى بنوره فى المُظلِمهْ

والناصرُ الحقَّ على المُقاتلِ والضاربُ الباطلَ فى المقاتلِ

والرافعُ الدُّولاتِ ركنًا ركنا بالحق بنيانَ الخليل الرُّكنا

كابن الوليد مَوْئلِ الأَعلامِ سيفِ الإِلٰه أَسد الإِسلامِ

طلَّقَ جاهليّةَ المعاصى ودخل الإِسلامَ وابنَ العاصِ

كلا العظيمين فتى قريشِ صدرُ نَدِىٍّ ، ولواءُ جيشِ

تخيّر السمحةَ غيرَ دار ما خلفها من عجب الأَقدار

من نِعمَ تترَى وعيشٍ مُرغَدِ وشأْنِ اليوم وذِكرٍ فى غدِ

سبحانَ ربّى مُنشىء النوابغِ مُرتجِل المواهب السوابغِ

هل خالدٌ إلا فتى من فِهْرِ لم يشتهرْ بصوْلةٍ وقهر

مَنزلةٌ [illegible] فى غالب عَليّهْ وشِيمٌ تقطر جاهليّه

زهوُ الصناديدِ بنى الجِلادِ[1] ونفخةٌ بالقوم والميلاد
نفسٌ غذتْها الجاهليةُ الدّما وأَرضعتها جرأَةً ومقدَمَا
ونُهيةٌ كالجوهر الوقادِ لم تبد للصائغ والنَّقَّادِ
فكان من عناية السلامِ به اكتسابُ أَدبِ الاسلامِ
إِذ كان فى دولته مجال فيه جَلتْ أَسرارَهَا الرجالُ
لابد للعقل الكبير من وسطْ وللشعاع من مدى ومُنبسَطْ
ربَّ هباتٍ ذهبت هَباءَ كما أَتى بها الترابُ باءَ
موفّق الآراءِ والراياتِ معلّقُ الهمة بالغاياتِ
إِذا غزا عن النبىّ أَو سَفرْ اقترحَ النجْحُ عليه والظَّفرْ
سمّاه سيفَ الله يوم مؤنَهْ مُعظِّمًا فى الآخِرين شأْنَهْ
فما مضى فى موطِنٍ أَو همّا إِلا وكان اسمًا على مُسَمّى
أَليس كافىَ الامام الشدّةْ وقامعَ الفتنةِ يومَ الرِّدَّةْ ؟
وقاتلَ الكذّاب[2] فى المعاركِ وكلِّ أَفّاكٍ له مشاركِ
أَيامه مشهورةٌ فى فارسِ مسطورة فى صحف الفوارسِ
خاض بها الوقائعَ الكبارا وفتح الحيرةَ والأَنبارا
واحتاجتِ الشام إِلى همامِ أَروع يحمى عسكر الإِمامِ
يقحُمها على جموع الرومِ وينثنى بفتحها المروم
وهى تموج بجموع قيصرا وعالَمٍ من عربٍ تنصّرا

---

(١) الجلاد القتال . (٢) مسيلمة وكان ادعى النبوة بعـــد موت رســول الله .

قبائلٌ فؤادها موزَّع ... دينٌ هو الغالى وعِرْقٌ ينزِعُ

فلم تقعْ إلا عليه الخيرهْ ... إن الرجال أفضلُ الذخيرهْ

فخفّ للغِياث فى ليوثِ ... صحابةٍ أَهِلَّةٍ غيوثِ

خلَّى العراقَ وتولَّى الشاما ... نجمًا لأَهوال السرى جشّاما

يقطع غُفْلا ويجوب بائرا ... إن المُغيث من أتاك طائرا

فكان فى السَّماوة[1] الرئبالا ... لا تذكر الأَلبَ وأَنِّيبالا

تخفِق فوق رأْسه العقاب[2] ... فى مَهمهٍ تُنكره العقاب

حتى حوى الجيشَ القرى فصارا ... بين ديار العرب النصارى

أَحراس تخمٍ وحُماة حدٍّ ... وحاطة الأَطراف من تعدٍّ

سل تدمرا والقريتين وأَركْ ... هل ثبتوا لخالدٍ فى معتَركْ

وسلْ به غسّانَ كيف صُبِّحوا ... بالخيل جاءت من بعيدٍ تضبَح

هبّتْ على الشام قبولًا ريدهْ[3] ... فاستروحَ الغوثَ أبو عَبيْدَهْ

أوفتْ على اليرموك تَطغَى من طربْ

يا مأْتمَ الروم ويا عرْس العرب !

أَقبل سيف الله يزجى خيلَهْ ... ويلَ هِرَقْلٍ منه ثم ويلَه !

وأَمرَّ الجيش عليهم خالدا ... وانتظروا اليومَ العظيم الخالدا

فعُبِّئ الحزبان للطامِ ... طامٍ يعِبّ لنزال طامِ

تراءَيا على تفاوتِ الفئهْ ... ذا مئتا أَلفٍ وذا نصفُ المئهْ

---

(١) مفازة مشهورة بين العراق والشام اختارها خالد بن الوليد فكان عملا عظيما له شأن فى تاريخ الحروب . (٢) العقاب الأولى راية الرسول والثانية الطائر المعروف . (٣) اى هبت الأمداد هبوب الريح اللينـة فوجد ابو عبيدة ريح الغوث والنجدة .

ونشبت جائحة[١] الدهورِ عدوةُ القاهرِ والمقهورِ

فداهمَ الرومَ الرَّعيل المسلمِ إن العتيقَ[٢] بالعِتاق أعلَم

واخترق الهيجاءَ فرسان العجمْ

تحت سروج لخيل أَو فوق اللُّجمْ

أَما الرُّجالَى[٣] فاحتموْا فى الخندقِ

ليلًا فمُسُّوا بالبلاءِ المحدِقِ

يومٌ كبدرٍ فى الفتوحِ منزلَهْ أَمسَى هِرَقلٌ بعده لاعزَّ لهْ

لما رأَى سلطانَه تداعى صاح الوداعَ سوريا الوداعا

---

(١) أى نادرة الدهور ، وهى الحرب . (٢) ابو بكر ، أى هو أعلم باختيار الخيل . (٣) جمع راجل وهو فى الحرب خلاف الفارس .

دولة بنى أمية

علمتَ أن السيفَ بناءُ الدوَلْ ... وركنُها فى الآخرين والأُوَل
ما زال فى الممالك الأساسا ... به بناها مَن بنى وساسا
يَقصِر حبلَ الملكِ أو يمدُّه ... ما رسمَ الحدودَ إلا حدُّه
لم يَبنِ للفرس ولا الرومانِ ... حائطَ ملكيْها سوى اليمانى
وأىُّ دينٍ بسوى السيف انتشرْ ... كم أُيّدت بالسيف أديان البشرْ
لم يغنِ داعى الحقِّ والفلاحِ ... عنها وأغنتْ صَلّة السلاحِ
فلا تقولَنَّ بغتْ مَرْوانُ ... ووطَّأَ الملكَ لها العدوانُ
كذاك قبل كانت الممالك ... وبعد لم تختلف المسالكُ
تنال بالقوة مبتغاها ... وإنما أذهبُها أبغاها

* * *

فى الشرق والغربِ بنَتْ أُميَّهْ ... سلطنةً ليس لها سميَّهْ
خلافةٌ على البسيطةِ احتوتْ ... شرقَ الثرى حازت وغَرْبَه حوتْ
حيزتِ بجُند الحِيَلِ المجنَّدِ ... وأحرزتْ بالرأى والمُهنّدِ
احتازها من الجرىء القُلَّبُ ... وغلَب الليثَ عليها الثعلبُ
بنيان قطب الملكِ والرياسهْ ... داهية الأُمور والسياسه
ونالها من آله ملوك ... تفاوتوا واختلف السلوك

فمنهمو الدرُّ ومنهمو الحصا ... ومَن هو السيف ومَن هو العصا
خليفة بَرٌّ وآخر فَجَرْ ... ذا حَجر[1] الأَرض وذا بعض الحجرْ
ما تلك إلا دولةُ الزمانِ ... حلَّتْ محلَّ دولة الرومانِ
من الطِّراز العربيِّ الأَوَّلِ ... على الدخيلِ قطُّ لم تعوِّلِ
لم تعتمدْ على عقول فارس ... ولا سيوف الدّيلَمِ الفوارسِ
كالشمس فى الشرق زَهتْ ضُحاها ... والغرب لا يخرج عن رُحاها
تقلَّبَ الإسلام فى رَخائِها ... وجَرَتِ الآمال فى رحائها
وزخرتْ بالعلم والبيان ... وأخرجتْ فرائدَ الأَعيانِ
حاز لواءَ الشعر فيها الرَّزدَق[2] ... جرير والأَخطل والفرزدق
وما رأَى المنبرُ من عِطْفَىْ مَلك ... كابن أَبى سفيانَ أَو عبدِ الملكْ
أَو كزيادٍ خطبةً إذا انبرى ... والثقفىِّ[3] حين يرقى المنبرا
ورزقتْ أَربابَ سيفٍ قادهْ ... أَعطتهمو الممالكُ المقادهْ
فنابها المهلَّب الغضنفرُ ... وغابها قيبَة المظفَرُ
سل ثَبَجَ البحر وعرضَ البرِّ ... عن طول باع الفاتحين الغُرِّ
ابنِ نُصيْرٍ مرسِلِ البُزاةِ ... والحَكَمِ الحاكم فى الغزاة

* * *

أَما دمشقُ فمقرُّ المُلكِ ... ومقعدُ التاج ونَظمُ السلكِ
بل شامةٌ والشامُ وجنةُ الثرى ... تَرِفُّ فردوسًا وتجرى كوْثرا

---

(١) حجر الأرض الرجل العظيم . (٢) الزردق الصف .
(٣) الحجاج .

مهدُ معالى مُلكِهِمْ وأُسُّها ... لا عجبٌ أن يرفعوها للسُّها
ظلَّتْ على أيامهمْ تَزيّدُ ... تعمرُها يدٌ وتكسوها يدُ
وتُزلَفُ الدنيا لها وتُجبَى ... وينثنى بها الزمانُ عُجْبَا
حتى جلتها دَولةُ الوليدِ ... فى أزيْنِ الطريفِ والتليدِ
وكَملتْ محاسنُ العروسِ ... وعُوِّذتْ بالجامع المحروسِ
تأنَّقتْ يدُ الوليد فِيها ... واستَبقَتْ أكفُّ مُترَفيها
فأصبحتْ حديقةَ الفنونِ ... وهيكلا من مَرمر مسنونِ
تَفيضُ من عجائب العِماره ... وحُجَرِ الصلاة والإمارهْ
ثم هوى أقمارُها وأبعدوا ... فحلفتْ بعدَهمو لا تسعَد

* * *

رمتْ يدُ الدهر بنى مروانا ... إن لكلِّ مصرعٍ أوانا
فذهبوا عن حسناتٍ تُذكَرُ ... وسيئات جمّةٍ لا تُنكَرُ
أما الأُمورُ فهمو دُهاتُها ... دنتْ ودانتْ لهمو جهاتُها
وهم على الأَمر العظيم أصبرَ ... لا يقربون اليأْسَ حتى يُقبروا!
أقوى بيوت العرب التئاما ... وخيرُها بيتهمو وِئاما
شبّانُهم من طينةِ الأَبالسِ ... وشيبُهم أنكَرُ فى المجالس
إذا جروْا لغايةٍ لم يحفِلوا ... ما المركبُ الأَعلى ولا ما الأَسفلُ
منهم من استحسن قتلَ الآلِ ... ولم يخفْ مساوئَ المآلِ
ومن رمى الكعبةَ بالحجارهْ ... وذعر البيت وراغ جارهْ

ومنهمو من مزّق الكتابا معاتبًا ، ياقبحَه عتابًا !
عاقر غِلمانُهمو المُداما ولازموا القيان والنّدامَى
وانغمسوا فى الشهوات والترفْ وأفسدوا شبّانَ أبناءِ الشرفْ
رَعوْ على اليقْظَةِ ثم ناموا فاصبحت للأُسد الأَغنامُ
جنى عليهم سَرَفُ الأُبُوّهْ وبَغيُهم على بنى النبوّهْ
ونصبُهم للحُكم كلَّ غاشِم جرتْ يداه فى دماءِ هاشِم
ولعنُهم خُلاصةَ الأَكابرِ أَبا الزّكييّنِ ، على المنابرِ
وغدرُهم بابن نصيْرٍ الوفى مُشيِّدِ الدولة فى البرّ وَفِى
أَمسوْا حماهم حرمُ الأَمانِ وأَصبحوا طريدةَ الزمانِ
مروانُ وهو منتهى أُميّهْ لم يفقدِ العزمَ ولا الحَميّهْ
قاتلَ حتى خانه المجالُ وأَسلمتْ دولتَها الرجالُ
والجندُ كالدنيا مع المُوفَّقِ أَعوانُه على الشقىِّ المُخفِقِ
فلم يزلْ من بلدٍ إلى بلدْ بالنفس ينجو والنساءِ والولدْ
حتى رمى مصرَ به المصيرُ وهُيِّئتْ قبرًا له بوصيرُ
وآلهُ بين مخالب الأَسدْ ينتزِعُ الروحَ ويهتِكُ الجسدْ
قد وطِئوا النّطوعَ لا النمارقا وطأْطأُوا للسائف المَفارقا
دنياهمو مسدودةُ المذاهبِ ودورُهم لواهبٍ أَو ناهبِ
وحزبُهم ممتنِعُ الهُدُوِّ حثيثةٌ فيهم يدُ العدوِّ
حتى إذا قيل خلتْ مروانُ وذهب السلطانُ والأَعوانُ

تلفتَ الناسُ وراءهمْ عَجَبْ

الكوكبُ الشرقيُّ فى الغرب احتجبُ

صقرُ قريشٍ منعوه جِلَّقَا فطار فى قرطُبةٍ وحَلَّقا

أَنشأَ مُلْكًا أُمويًّا ضخما كمُلْك كسرى رُقْعَةً وتَخْما

ودولة قصّر عنها قيصرُ سما بها الممدِّن الممصر

زهراءُ فى قرطبةٍ تَأَلَّقُ بغدادُ منها اقتبستْ وجلَّق

صقر قريش (عبد الرحمن الداخل)

موشح أندلسى

من لِنِضوٍ يتَنَزى[1] أَلمًا برح الشوقُ به فى الغَلَس
حَن للبان وناجَى العَلَما أَين شرقُ الأَرضِ من أندلسِ

* * *

بلبلٌ علَّمه البينُ البيانْ بات فى حَبلِ الشجون ارْتَبكا
فى سماءِ الليل مخلوعُ العِنانْ ضاقت الأَرضُ عليه شَبَكا
كلما استوحش فى ظلِ الجنانْ جُن فاستضحك من حيث بَكى
ارتدى بُرْنسَه والتَثَما وخَطا خُطْوَةَ شيخٍ مُرْعَسِ[2]
ويُرى ذا حَدَبٍ إن جَثَما فإِن ارتَدَّ بدا ذا قَعَسِ[3]

* * *

فَمُه القانى على لَبَّته كبقايا الدَّم فى نَصْل دقيقْ
مَده فانشَق من مَنْبتِهِ من رأَى شِقَّىْ مَقَص من عَقيقْ
وبكى شجْوًا على شُعْبته شجْوَ ذات الثُّكل فى السِّتر الرقيقْ
سَلَّ من فيه لسانا عَنَمًا[4] ماضِيًا فى البَث لم يَحْتَبِسِ

---

(۱) يتنزى : يتوثب . (۲) المرعس من رعس الرجل : اذا مشى مشيا ضعيفا من الاعياء . (۳) القعس ضد الحدب وهو نتوء الصدر .
(٤) العنم شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه البنان المخضوب .

وتَرٌ من غير ضَرْب رَنما   فى الدجى أو شررٌ من قبَس

* * *

نَفَرت لوعتُه بعد الهُدوءْ   والدُّجى بيتُ الجَوى والبُرَحا
يَتعايا بجنَاح وينَوءْ   بجَناح مذ وهَى ما صَلحا
ساءه الدهرُ وما زال يسوءْ   ما عليه لو أَسَا ما جَرَحا
كلَّما أدمى يديه نَدَما   سالتَا من طوْقه والبُرنس
فَنبتْ أهدابه إلَّا دَمَا   قام كالياقوت لم يَنْبَجِسِ[1]

* * *

مَد فى الليل أنِينًا وخَفَقْ   خفقَانَ القُرط فى جنْح الشَّعَرْ
فَرغَتْ منه النوى غير رَمَقْ   فَضْلَةَ الجُرح إذا الجرحُ نَغَر[2]
يتلاشى نَزَواتٍ فى حُرَقْ   كذبَالٍ آخرَ الليل استعَرْ
لم يكن طوْقًا ولكن ضَرَما   ما على لَبَّته من قَبَس
رحمةُ الله له هل علِما   أن تلك النفس من ذا النفسِ

* * *

قلت للَّيل وللَّيل عَوَادْ   من أَخو البَثِّ فقال : ابنُ فِراقْ
قلتُ : ما واديه ، قال : الشجوُ واذْ
ليس فيه من حجاز أو عِراق
قلتُ : لكن جفنه غير جوادْ   قال : شر الدمع ما ليس يُراق
نَغبِط الطَّيرَ وما نعلم ما   هى فيه من عذابٍ بَئِس

---

(١) لم ينبجس : لم يتفجر .   (٢) يقال جرح نفار أى جياش بالدم .

فدَعِ الطَّيرَ وحظًّا قُسِما صَير الأَيكَ كدُور الأُنسِ

* * *

ناحَ إذ جَفناى فى أَسْر النجومْ رَسَفَا[1] فى السُّهد والدّمعُ طليقْ
أَيها الصارخ من بحر الهمومْ ما عسى يُغْنى غريقٌ عن غريقْ
إن هذا السَّهمَ لى منه كُلُومْ كلُّنا نازحُ أَيْك وفريق
قلِّب الدّنيا تجدها قِسَمًا صُرِّفَتْ من أَنْعم أَو أَبْؤسِ
وانْظرِ الناسَ تَجِدْ من سَلِما من سهام الدهر شجّته القِسِى

* * *

يا شبابَ الشرق عنوان الشَّباب ثمرات الحَسَب الزّاكى النَّميرْ
حَسبُكم فى الكرم المحض اللُّباب سِيرةٌ تَبقى بقاءَ ابنىْ سمير[2]
فى كتاب الفخر (للداخل[3]) بابْ لم يَلجْه من بنى المُلك أَمير
فى الشموس الزُّهرِ بالشام انتمى ونَمى الأَقمارَ بالأَندلس
قعَد الشرقُ عليهم مأْتَما وانثنى الغربُ بهم فى عُرُس

* * *

هل لكم فى نبأٍ خير نَبَأْ حِلْبةِ التاريخ مأْثور عظيمْ
حل فى الأَنْباءِ ما حلَّت سبأْ منزل الوُسطى من العقد النّظيم
مثلَه المقدارُ يومًا مَا خَبَأْ لسليب التاج والعرش كَظِيم
يُعجزُ القُصّاصَ الاقلَمَا فى سوادٍ من هوى لم يُغمَسِ

---

(١) رسفا : تقيدا . (٢) ابنى سمير : الليل والنهار .
(٣) هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بنى امية فى الأندلس .

يُؤثر الصّدق ويجزى عَلَما قلَب العالَمَ لو لم يُطْمَس

* * *

عن عِصاوِىّ نبيل مُعْرِقِ في بُناةِ المجد أبناءِ الفَخَار
نهضتْ دولتهم بالمشرقِ نهضة الشمس بأطراف النّهار
ثم خان التاجُ وُدَّ المَفْرَقِ ونَبَتْ بالأنجم الزُّهر الديارْ
غفلوا عن ساهرٍ حول الحِمى باسطٍ من ساعِدَيْ مُفترس
حام حول الملك ثم اقتحما ومشَى فى الدم مشى الضَّرِس

* * *

ثـأْرُ عثمانَ لمروان مَجَازْ ودَمَ السِّبْط[1] أثار الأقْرَبُونْ
جسَّنوا للشام ثـأْرًا والحجاز فتَغَالى الناسُ فيما يطلبونْ
مَكْرُ سُوَّاسٍ على الدَّهْمَاءِ جازْ ورُعاةٌ بالرَّعايا يلعبون
جعلوا الحقَّ لبَغْيٍ سُلَّما فهو كالسِّتر لهم والتُّرُس
وقديما باسمه قد ظَلَما كلُّ ذى مِئْذَنَةٍ أو جَرَس

* * *

جُزِيتْ مروانُ[2] عن آبائها ما أَراقوا من دِماء ودموعْ
ومن النَّفس ومن أهوائها ما يؤدّيه عن الأصل الفروع
خَلَتْ الأعوادُ من أسمائها وتغطّت بالمصاليب الجذوع
ظَلَمَتْ حتى أصابت أظْلَما[3] حاصدَ السيف و بِىءَ المَحْبِس

---

(١) يعنى بالسبط الحسين بن على صلوات الله عليه .
(٢) يعنى بمروان : بنى مروان . (٣) الأظلم هنا هو أبو مسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى عباس وقد سلب بنى أمية ملكهم .

فطِنًا فِي دعوة الآلِ لِما همَس الشَّانى وما لم يَهْمِسِ

* * *

لبِست بُرْدَ النبىّ النَّيِّرات من بنى العبّاس نورًا فوق نور
وقديما عند مروان تِراتْ لزَكِيّاتٍ من الأَنفُس نور
فنَجا الدّاخلُ سبْحًا بالفُرات تارك الفِتنةِ تَطْغى وتَنُور[1]
غَسَّ[2] كالحوت به واقتَحَما بين عِبْريه عيون الْحَرَس
ولقد يُجدى الفتى أن يَعلَمَا صَهْوةَ الماءِ ومَتْنَ الفَرَس

* * *

صحِب الداخلَ من إخوتِه حدثٌ خاض اغِلمار ابن ثَمانْ
غلَب الموج على قوَّته فكأَن الموج من جُنْدِ الزَّمان
وإذا بالشّط من شِقْوتِه صائحٌ صاح به : نِلتَ الأَمان
فانثنى مُنْخَدِعًا مُسْتَسْلِما شاةٌ اغترَّتْ بعَهد الأَطْلَسِ[3]
خضَب الجُند به الأَرضَ دَما وقلوبُ الجُند كالصَّخر القَسِى

* * *

أَيها اليائسُ مُتْ قبل المَمَاتْ أَو إذا شئتَ حياةً فالرّجا
لا يَضِقْ ذَرْعُك عند الأَزَمات إن هى اشتدّت وأَمِّلْ فَرَجا
ذلك الداخلُ لاقى مُظْلِماتْ لم يكن يأْمُل منها مَخْرَجَا
قد تولَّى عزُّه وانصرما فمضى من غَدِهِ لم يَيأَس

---

(١) نارت الفتنة : وقعت وانتشرت . (٢) غس : دخل ومضى .
(٣) الأطلس : الذئب .

رام بالمغرب مُلْكًا فرمى أبعدَ الغَمْرِ وأقصى اليَبَس

* * *

ذاك واللهِ الغنى كلُّ الغِنى أىَّ صعبٍ فى المعالى ما سَلَك

ليس بالسائلِ إن همّ متى لا ولا الناظرِ ما يُوحى الفَلَك

زايل المُلكُ ذَوِيه فأَتى مُلكَ قومٍ ضيّعوه فملك

غَمَراتٌ عارضَت مُقْتَحما عالىَ النفس أشمَّ المَعْطَس[1]

كلَّ أرضٍ حلَّ فيها أو حِمى منزلُ البدرِ وغابُ البَيْهس[2]

* * *

نَزَل النَّاجى على حُكْم النّوى وتَوارى بالسُّرى من طالبيهْ

غيرَ ذى رَحْلٍ ولا زادٍ سوى جوهرٍ وافاه من بيت أبيه

قمرٌ لاقى خسوفًا فانزوى ليس من آبائه إلَّا نَبِيه

لم يَجِدْ أعوانَه والخَدما جانبوه غيرَ (بدر) الكيِّس

من مَواليه الثقات القدَما لم يخنه فى الزمان المُوئِس

* * *

حين فى إفريقيا انحل الوِئامْ واضمحلَّت آيةُ الفتح الجَليل

ماتت الأُمة فى غير التئام وكثير ليس يلتامُ قليلْ

يَمَنٌ سَلَّت ظُباها والشآم شامَها[3] هنديةً ذاتَ صليل

فرَّق الجندَ الغِنى فانقَسَما وغدا بينهم الحقُّ نسِى

أوحشَ السؤددُ فيهم وسَما للمعالى من به لم تَأْنَس

* * *

(١) المعطس: الأنف . (٢) البيهس : الأسد . (٣) شام : سل.

رُجِموا بالعَبقرىِّ النَّابه ... البعيد الهِمَّةِ الصَّعْبِ القِياد
مدَّ فى الفتح وفى أطنابه ... لم يَقف عند بِناءِ ابن زياد[١]
هجرَ الصيد فما يُعْنَى به ... وهو بالملك رفيقٌ ذو اصطياد
سَلْ به أندلسا هل سَلِما ... من أخى صيد رفيق مَرِسِ[٢]
جرَّد السيفَ وهزَّ القلما ... ورمى بالرأى أمَّ الْخُلَس[٣]

* * *

بسلام ياشراعا ما دَرَى ... ما عليه من حَياء وسَخَاء
فى جَناح المَلَك[٤] الرُّوح جَرى ... وبريح حفها اللطفُ رُخَاء
غسَل اليَمُّ جِراحَاتِ الثَّرى ... ومحا الشِّدةَ من يمحو الرَّخاء
هل دَرى أندلس من قَدِما ... دارَه من نحو بيت المَقْدِسِ
بسليل الأُوَمَويّين سَما ... فتحُ موسى مُسْتَقَرَّ الأُسس

* * *

أُمَوىٌّ للعُلا رحَلتُه ... والمعالى بمَطى وطُرُقْ
كالهلال انفردَت نُقْلته ... لا يُجَاريه ركابٌ فى الأُفُق
بُنيت من خُلُق دُولتُه ... قد يَشيد الدُّوَلَ الشُّمَّ الْخلقُ
وإذا الأَخلاقُ كانت سُلَّما ... نالت النّجم يَدُ المُلتَمِس
فارْقَ فيها تَرْق أسباب السَّما ... وعلى ناصيةِ الشمس اجْلِس

* * *

---

(١) هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس فى عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى . (٢) المرس : الشديد المجرب فى الحروب ، يقال : انه لمرس حذر . (٣) الخلس : جمع خلسة وهى الفرصة . (٤) الملك الروح : جبريل .

أَىَّ مُلْكٍ من بنايات الهِمَمْ   أَسَّسَ الدّاخلُ فى الغربِ وشاد
ذلك الناشىء فى خيرِ الأُمم   ساد فى الارض ولم يخلق يُساد
حكمت فيه الليالى وحَكَمْ   فى عَوادِيها قِيادًا بِقياد
سُلِب العزَّ بشرقٍ فرَمى   جانبَ الغرب لعزّ اقعَس
وإذا الخيرُ لعبدٍ قُسِما   سنَحَ السّعدُ له فى النَّحَس

* * *

أيها القلب أَحقٌّ أنتَ جارْ   للذى كان على الدهر يجيرْ
ها هنا حلَّ به الرَّكب وسارْ   وهنا ثاو إلى البعث الأَسير
فَلَكٌ بالسّعد والنّحس مدارْ   صَرع الجامَ(١) وألوى بالمُدير
ها هنا كنتَ ترى حُوَّ الدُّمَى   فاتناتٍ بالشِّفاه اللُّعُس(٢)
ناقلاتٍ فى العَبير القَدَمَا   واطئاتٍ فى حَبيرِ السُّنْدس

* * *

خُذْ عن الدّنيا بليغَ العِظةِ   قد تَحلَّت فى بليغِ الكَلِم
طَرَفاها جمعا فى لَفظةِ   فتأَمَّل طَرَفيْها تَعْلم
كُلُّ ذى سِقْطَيْن(٣) فى الجوّ سما   واقعٌ يومًا وإن لم يُغْرَس
وسيلقى حَيْنه نَسر السما   يوم تطوى كالكتاب الدرس

* * *

---

(١) الجام : الكأس .   (٢) **اللعس** : سواد مستحسن فى الشفة .
(٣) السقط : جناح الطير .

أين ياواحدَ مروانَ عَلَمْ　　من دعاك الصقرَ سَمّاه العُقاب[1]
رايةٌ صرَّفها الفَرْدُ العَلَمَ　　عن وجوه النصر تصريفَ النقاب
كنت إن جرّدتَ سيفًا أو قَلَم　　أبْتَ بالألباب أو دِنْتَ الرِّقاب
ما رأى الناسُ سواه عَلَما　　لم يُرَمْ فى لُجّةٍ أو يَبس
أعلى رُكن السِّماك ادَّعَما　　وتَغطَّى بجنَاح القُدُس

* * *

قصرُك (المُنية) من قُرْطبة　　فيه وارَوْك ولله المَصير
صَدَفٌ خُطَّ على جوهرة　　بيد أن الدهر نَبَّاشٌ بصير
لم يدع ظلا لقصر (المنية)　　وكذا عمر الأمانىِّ قصير
كنتَ صقرا قُرَشيًّا عَلَما　　ما على الصقر إذا لم يُرْمَس
إن تَسَلْ أين قبورُ العُظما　　فعلى الأفواه أو فى الأنفُس

* * *

كم قبورٍ زينت جيدَ الثرى　　تحتها أنحسُ من مَيْتِ المجوس
كان مَن فيها وإن حازوا الثرى　　قبل موت الجسم أموات النفوس
وعظامٌ تَتَزَكَّى عنبرًا　　من ثناء صِرنَ أغفال الرموس
فاتخذ قبرَك من ذِكرٍ فما　　تَبنِ من محموده لا يُطْمَس
هَبْك من حِرص سكنت الهرما　　أين بانيه المنيعُ المَلْمَس

---

(١) العقاب : اسم راية الداخل .

خلافة عبد الله بن الزبير

خليفةٌ ما جاءَ حتى ذهبا ... ضاع عليه الدمُ والمال هبا

الصاحبُ ابنُ الصاحبِ الكريمِ ... الجللُ المَطْلَب والغريمِ

ابنُ الزبير وكفى تعريفا ... إن الشريفَ يلدُ الشريفا

أَبوه هَضْبةُ العلا الشَماء ... وأُمُّه فى الشرف السماء

مستقبِلُ الأَيامِ بالصيامِ ... ومُتعبُ الظلام بالقيامِ

وأخوَفُ الناس إذا الليلُ دجا ... وأشجعُ الناس إذا تدجَّجا

وأَطهرُ المعاهدين ذِمَّهْ ... وأَكبرُ المجاهدين هِمهْ

وثبًا من الخوارج الشدادِ ... إلى بنى أُمية اللدادِ

إلى مداراة بنى العباس ... والعَلويين الشدادِ الباس

فانتظمتْ أهلَ الحجاز بيْعتُهْ ... واحتكمت فى البصرتين شِيعتُهْ

ودخل العراقُ فى وَلائِهِ ... وخرجتْ مصرُ على أعدائِه

فضاق مَرْوانُ به ذراعا ... وانخرعت قدرته انخراعا

بابن الزبير لايقاس ابن الحَكَمْ ... لا ترفعُ الأَحكامُ كلَّ من حكمْ

لا يستوى مَن عُمرَه تحنَّفا ... ومَن رسولُ الله أقصى ونفى

مروانُ ليس للأُمور صاحبًا ... وإن غدتْ لذيلِه مساحبا

جر على عثمانَ ما قد جرَّا ... أراد أن ينفعَه فضرَّا

رب عدوٍّ عاقلٍ أشكاكا ورب ودٍّ جاهلٍ أبكاكا

لكنه أبو النجوم الزُّهْرِ مصابحِ الأمر مُلوكِ الدهر

حدِّثْ إذا باهى الملوكُ بالولدْ عن حَجَر الأَرض وبيضةِ البلدْ

يدنو بنو المنصور من أبنائِه فى الرفق بالملكِ وفى بنائِه

ما كسليمانَ ولا عبدِ الملِكْ ولا الوليدِ عاهلٌ ولا مَلِكْ

* * *

لما أتى ابنَ الحَكَمِ الحِمامُ آل لعبد الملك الزمام

فيا شقاءَ ابنِ الزبير ! ما لقِى؟ لقد أُصيبَ بالدهىِّ الفيلقِ(١)

فتى من النوابغ المُرَّادِ إن همّ لم يُثْنَ عن المرادِ

قد نضجتْ آراؤه غلاما ورُزق الهمةَ والكلاما

وكان فى الشرع شراعَ الأُمّةْ وفى الحديث مُستَقَى الأئمّه

فاق فلولا بخلُه وغدرُهُ فات مقاديرَ الملوك قدرُهُ

ما زال فى الشام إلى أن راضها ضم قواها وشفى أمراضَها

فاجتمعتْ لذى دهاءٍ حُوَّلِ كعهدها بالأمويِّ الأوَّلِ

رمى بها مجموعة مُعدَّةْ إن النظامَ عَدَدٌ وعُدّةْ

فظفرتْ بفِرَق الخوارجِ من داخلٍ فى طاعةٍ وخارجِ

ولم تدعْ لابن الزبير جمْعا إلا أراها طاعةً وسمعا

بعد حروبٍ وائليةِ الحرَبْ

لولا سُباتُ(٢) الروم ضاعت العربْ

---

(١) الفيلق : الرجل العظيم . (٢) اى نومهم وغفلتهم .

أَحستِ الملةُ فيها بالغرر(١) ورُمِىَ البيتُ العتيقُ بالشررْ

وطاح فيها مُصعبٌ كريما يحمى كليث الغابة الحريما

وضاق عبد الله عن عبد الملكْ ورأْيهِ الوضاء فى الخطب الحلكْ

انصرف الكُرّارُ والكُماةُ وانحرف الأَنصارُ والحماةْ

أَسلمه الأَهلون حتى ابناه وخذلتْ شِمالَه يمناه

فجاءَ أُمّه ، ومَن كأُمِّه ؟ لعلها تحمل بعضَ هَمِّهْ

والبيتُ ، تحت قسْطلِ الحجّاجِ وخيلُه أَواخذُ الفِجاجِ

فقال ما تَريْنَ فالأَمرُ لكِ للموت أَمضى أَم لعبد الملكِ ؟

قالت بنىّ وَلَدَ القوّامِ وابنَ العتيق القائم الصوّامِ

أَنظرْ فان كنتَ لدينٍ ثرتَ فلا تفارقْ ما إليه سِرتَ

أَو كانت الدنيا قُصارَى همتكْ فبئس أَنت ، كم دمٍ بذمتك؟

إلحقْ بأَحرارٍ مضوْا قد أَحسنوا فالموتُ من ذلِّ الحياة أَحسنُ

ولا تقلْ هنتُ بوهْن من معى فليس ذا فعْلَ الشريف الأَلمعى

ومُت كريما أَو ذُقِ الهوانا وعبثَ الغِلمان من مرْوانا

أَنت إلى الحقِّ دعوْتَ صحبَكا فاقضِ كما قضوْا عليه نَحبَكا

ولا تقلْ : إن متُّ مَثّلوا بى وطافَ أَهلُ الشام بالمصلوبِ

هيهات ما للسّلخ بالشاة أَلمْ ورُب جِذعٍ فيه للحق عَلَمْ

وعانقْته فأَحسّتْ دِرعَا قالت : أَضِقْتَ بالمَنون ذرعا؟

---

(١) الغرر : الخطر .

مثلُك فى ثيابه المُشَمّره جاهد لا فى الحلَق(1) المسمّرهْ
لاتمضِ فيها وأَرح منها الجسدْ وامض بلا درعٍ كما يمضى الأَسدْ
فنزع النثرةَ عنه وانطلقْ فى قلة يلقى العديدَ فى الْحَلَقْ
فمات تحت المرهفات حرا لم يألُ خيرَ الأُمهات برّا

(1) اى الضلوع .

موت ابراهيم الامام والبيعة لأخيه السفاح وخلافته

الأَمرُ آل أَحسنَ المآلِ   بيُمنِ إبراهيمَ رأْسِ الآلِ

فتى العفافِ والحجى والنائلِ   ومعدِنِ الأَخلاقِ والفضائلِ

دعى القرى لأَمره فلبّتِ   وحضنَ الدعوةَ حتى شبّتِ

ومات لا أَقولُ فى أَثنائها   بل وهى عند مُنتهى بنائها

نالتْه فى ناديه للقوم يدُ   وصِيدَ فى واديه وهو الأَصْيَدُ

أُلْقِىَ فى السجن فكان حُفْرتَهُ   أَماته الله وأَحيا أُسرتَهْ

بينا به تَهامَسُ النُّعاةُ   إذ بأَخيه هتف الدُّعاةُ

بويع فى الكوفةَ للسفّاحِ   فى ثَبَجِ الدعوة والكفاحِ

نعى أَخاه ونعى أُميّهْ   وقام بالدولة هاشميّهْ

فى جمعة مشهودةٍ هى المُنَى   هشّ اليها عرفاتُ ومِنَى

فكانتِ الكوفةُ مَبْزَغَ القمرْ   قد صلع السعدُ به على الزُّمَرْ

بُويعَ فيها النّفرُ الأَعلامُ   ونال عُليا الدولِ الإسلامُ

قام أَبو العباس بالإمامه   ابن جلا المُسوَّد العمامه

فتى تَضَاءلُ الفُتِىُّ حولهْ   داعٍ لمُلْكٍ داعمٌ لدولهْ

كالبدر فى سمائه بل أَجملُ   لو كان فوق الأَرض بدرٌ يكملُ

قد رجع الأَمرُ به للأَربعِ   واجتمع الأَمر له فى أَربعِ

إبنُ الغيوث لم يَجِدْ إلا صَدقْ   ولم يَجُدْ إلا استهلّ وغَدَقْ

أَلْينُ من صَمصامةٍ وأقطَعُ   لايعرفُ الرحمةَ حين يُقطَعُ[(١)]

قد كان بين الدولتين يومُ   عزّ به قومٌ وذَلَّ قومُ

التقتِ الأَحزابُ بالأَحزابِ   واقتتل الجمعان حول الزاب

نهرٌ جرى الأَمرُ العظيمُ حولَهْ   عُبور دولةٍ ونشْأُ دولَهْ

وكان مروان أتمّ فيلقا   وجندُ عبد الله أَوْفَى فى اللقا

فأَجزل اللهُ من الإظهار   والنصرِ لابن السادة الأَطهارِ

ما غربتْ شمسُ نهار الباس   حتى بدتْ شمسُ بنى العباسِ

هم أمّلوا كيوشعَ الإدالهْ   والنصرَ قبل غيبة الغزاله

فكانت النيةُ ذات شأْنِ   وكادت الشمس لهم تستأْنى

تصرمت دولة عبدِ شمسِ   ودبرتْ أيامُهم كأَمسِ

بعبد شمسٍ فاز عبدُ المطلِبْ   لاكفءَ للغالب إلا من غُلِبْ

فمذ خلا الجوُّ لسيفِ هاشِم   هبّ هبوب المستبدِّ الغاشِم

المستبيح فى دخول البيتِ   هلاكَ حيٍّ وانتهاكَ ميت

فهتك القبورَ وهى حُرمهْ   من مات فاترك للمميت جُرْمه[(٢)]

ومُنيتْ أُميةٌ بساطِ[(٣)]   أَبدلها النِّطعَ من البِساطِ[(٤)]

وكلّ جُرمٍ واقعُ العقابِ   ولو على الأَنسال والأَعقابِ

ثم قضى مُقتبِلَ الشبابِ   عن دولة مُقبلةِ الأَسبابِ

ففقدتْ به القرى حياها   ومات بالأَنبار من أَحياها

---

(١) اى يعق وتقطع رحمه .   **(٢) اى ذنبه لأن الميت لا يعاقبه الا الله**

(٣) اى ذى سطو .   **(٤) النطع : ما كان يفرش ليقتل عليه الناس**

أبو مسلم الخراسانى الداعى للعباسيين

الأَصلُ فى كلِّ بنايةٍ حَجرْ وإنْ زهتْ بالشُّرُفَات والحُجَر

معتمدُ الأَركان والقواعدِ وسنَدُ العالى بهن الصاعدِ

فان وقفتَ مُطرِىَ البناء فاعطِفْ على الأَساسِ فى الثناء

وهذه الدولَةُ قد دعا لها وقاد فى ظهورها رِعالَها

أَغرُّ من سوابق الإِسلامِ فوارسِ اللقاءِ والكلامِ

اختلفوا فى أَصلِهِ وفصلِهِ والسيفُ يومَ النسب ابنُ نَصلِهِ

فقيل حرٌ عربىٌّ الوادى وقيل عبدٌ من بنى السوادِ

وقيل كان يَدّعى العباسا ويرتدى لهاشمٍ لباسا

خاض الخراسانىّ فى العشرينا على بنى أُميّةَ العرينا

فلقيتْ دَعوتُه رواجا ودخلتْ فيها القرى أَفواجا

وقوبلتْ فى الفرس بالمُحبّذِ من كلِّ دهقانٍ وكلِّ موبذِ(1)

لبخل مروانَ عليهم بالنِّعمْ وتركهم سُدًى كاهمال النَّعمْ

وقرَعَ الساقَ لها من العربْ من لا له فى الأَمويين أَربْ

ربيعة انحازت إِليها ويَمَنْ أَظهرتا من ضَغَنٍ ما قد كمنْ

فكم جفاهما بنو مروانا واصطنعوا من مُضَرَ الأَعوانا

---

(1) أصلها موبذان وهو القائد الفارسى .

وبالغوا فى البِرِّ والقيامِ   وشاطروها نِعَم الأَيامِ
وهى لما يقترحون أَجرى   وهى على بنى النبىّ أجرا
جاءَ أَبو مسلم الخِراسِنِى   أَبدلها من رائقٍ بـآمنِ
رُمُوا بماضى الحدِّ لا يمينُ[1]   داهيةٍ فى رأْيه كمين
تقتبسُ الشبّان من مَضائِه   وتنزِلُ الشِّيبُ على قضائِه
يَصيدُ بالصَلاة والصِّلاتِ   ويقنصُ الولاةَ بالولاةِ
يُعينُه قحطبةٌ ذو الباس   أَولُ قُوادِ بنى العباس
بخيلهم جابَ البلادَ وفَرَى   وقام بعدَه ابنُه مُظفَّرا

---

(١) لا يكذب .

بِمُلْكٌ لآلٍ من بنى الأَعمامِ ... ومُلْكُ آلٍ من بنى الغَمامِ

بجَدّهم فى السنة[1] استسقى عُمَرْ ... هزّ الغمامَ بالغمام فانهمرْ

ودُولةُ الحق بدتْ للناسِ ... بين رضى الْخَلْق والاستئناسِ

وعدُ النبىّ فى الحياة عَمّهْ ... الله من بعدهما أَتمّهْ[2]

ولستَ تدرى مَن بنى أَساسَها ... أَعجبُ ، أَم مَن شادها وساسها ؟

أَقبل يبنيها من الفتيانِ ... عِصابةٌ مُحسنةُ البُنيانِ

قد نفروا للأَمر فى أَوقاتهِ ... والأَمرُ يَستأْنِسُ فى ميقاتِه

وانتخبوا الأَبطال للمجالِ ... والخيرُ فى تخيُّر الرجالِ

ونقدوا الآراءَ والسيوفا ... فنفوْا الكلولَ[3] والزيوفا

سلُّوا خراسانَ ونعم الماضى ... فى الأَمر مستقبلِهِ والماضى

خفّتْ لداعيهم ولبّتْ الطلبْ ... واعتصمَ المأْمونُ فيها فغَلَبْ

لأَهلها فيهم هوى ونارُ[4] ... وفى مَهبِّ الريح تقوى النارُ

رموْا بها فجدلوا أُمَيّهْ ... وكلُّ سهمٍ وله رَمِيّهْ

بالشام صادوا الملكَ والإمامهْ ... ما بال بازِهم غدا حمامهْ

حقيقةٌ ليس لها مُفنِّدُ ... كل مُهنّد له مُهَنِّدُ

---

(١) السنة القحط .

(٢) اشارة الى تبشير الرسول عليه السلام عمه العباس بالخلافة فى بنيه .

(٣) الكلول التى لا تقطع .

(٤) النار الأولى الرأى .

أبو جعفر المنصور

استخلف المنصورَ فى وصاتِه إن اختيار المرءِ من حَصاتِهِ

ابن أبيه وسراج بيتهِ الخلفاءُ لَمَحَاتُ زيتهِ

حَبرُ بنى العباس ، بحر العلمِ قطبُ رحى الحرب ، مدار السِّلْمِ

فلم يكدْ بالأمر يستقلُّ حتى تلقَّى فتنةً تُسَلُّ

قد فرغ الأهلُ من الغريبِ واشتغل القريب بالقريبِ

ثار بعبد الله ثائرُ الحسدْ وزعم الغابَ أَتى غيرَ الأَسدْ

وأن مروانَ إليه سلَّما وأن يومَ الزاب يكفى سُلَّما

انقلب العمُّ فصار غَمَّا وفدح الأَمرُ به وطمَّا

جاءَ نصيبِينَ وقد شقَّ العصا فيمن بغى الفتنةَ صيدًا وعصى

ما فلّ حدّهمْ عن المنصورِ سوى أَبى مسلم الهصورِ

سلّ عليه سيفَه ورايَهْ فلم تقف لابن علىٍّ رايهْ

وهُزِمَ الطاهرُ يوم النهرِ وعرف القاهرُ طعمَ القهرِ

ومن يحاولْ دولةً ومُلْكا يُلاقِ نُجحًا أو يُلاقِ هُلْكا

* * *

واستطرد الحَيْنُ بُنوةَ الحسنْ واجتمعوا فامتنعوا على الرسَنْ

وصلبوا الأَسرَ وحاولوا المَدَى وبايعوا راشدَهم محمّدا

وكان مقداما جريئا مِحرَبا ... طاح على حدّ الظُّبا فى يثربا
فثار إبراهيمُ للثاراتِ ... وأزعج المنصورَ بالغاراتِ
فوجئ والجيوشُ فى الأَطرافِ ... بنهضة الدهماءِ والأَشرافِ
اضطرب الحجازُ والعراقُ ... وشغب الغواةُ والمُرّاقُ
فلم تفُلَّ النائباتُ عزمَهْ ... ولم يَكِلِّ عن لقاءِ الأَزمَهْ
تدارك الشدةَ بالأَشدا ... من كلِّ من لمثلها أعدَّا
وكان يستشيرُ فى المصائبِ ... وهو أخو الرأى السديد الصائب
أمرٌ له كلاهما قد شمَّرا ... وجرّدا السيفَ له باخمرا[1]
فكان بين هاشمٍ من حربِ ... ما كان بينها وبين حربِ[2]
وكان فى أولها للطالب ... على قنا المنصور عزُّ الغالبِ
لولا المقاديرُ القديرةُ اليدِ ... لأَحرز السيّدُ مُلْكَ السيّدِ
كرّتْ عساكرُ الإمام كرّهْ ... على جنود الحَسَنِىِّ مُرّهْ
عدتْه عن دعوته العوادى ... وأسعف الدهرُ أولى السدادِ
وطاب للشريف الاستشهادُ ... فيما يخال أنه جهادُ
فطاح لم ينزلْ عن الكُميْتِ ... وهكذا أبناءُ هذا البيتِ
وكثُر القتلى وراح الأَسرَى ... على فوات الوَفَياتِ حَسْرَى
سيقوا إلى يزيدَ أو زيادِ ... لكن من القرابةِ الأَسيادِ
فلم يذق كالحسنيّين البَلا ... ولا الْحُسينيون يوم كربلا
مُنوا بقاسى القلب ليس يرحمُ ... وليس تثنيه عليهم رَحِم

---

(١) موضع كان على فراسخ من الكوفة .   (٢) حرب بنى أمية .

لو طمعتْ فى مُلكهِ أَولادُه ... شفاههمو من طمع جلَّادُهُ
هذا أَبو مسلم التَّيّاهُ ... غرّتْه فى دولتهم دنياهُ
فطال فى أَعراضهم لسانهْ ... ولم يَقُمْ بمَنِّهِ إحسانُهْ
ونازع الآلَ جلال القدْرِ ... ونافستْ هِمّتُه فى الصدرِ
دعواه فى دعوتهم عريضَهْ ... لولاه ظلتْ شمسُها مريضهْ
وهو لفضل الطاهرين ناسِ ... ومالهم فى الحب عند الناس
وما علوْا له من المُهمَّهْ ... وبذلوا من مدهشات الهمّهْ
وموت إبراهيم حتفَ فيهِ ... فِدًى لأَمرهم وحبًّا فيهِ
فوغِرَ الوالى عليه صدرا ... يُظهر عطفًا ويُسِرُّ غدرا
وصاحبُ الدعوة ضاق الدعوى ... يرفُل فيها نخوةً وزَهوا
تطلبُه الدماءُ كل مَطلَبِ ... لا بدَّ للظالم من مُنقَلَبِ
فكم أَدارها على المَنون ... وكم أَراقها على الظنون
هذا الذى حمى أُميةَ الكرى ... كان أَبو جعفرَ منه أَنكرا
قد يقع الثعلبُ فى الْحُبَالهْ ... وتتّقِى الفراشةُ الذُّبالهْ
أَفنى الفضاءُ حيلةَ الْخراسِى ... وعصفت رياحُه بالراسى[1]
وساقَهُ الْحَيْنُ إلى الإمامِ ... والنفس تستجر[2] للحِمام
فجاءَه فى موكِبٍ مشهودِ ... وفى مدارعٍ من العهود
أُريدَ بالداعى الردى وما دَرَى ... وكلُّ غدَّارٍ مُلاقٍ أَغدرا
فمُكِّنتْ منه سيوفُ الهندِ ... وظفر الفرندُ بالفرندِ

---

(١) الجبل . (٢) تنقاد .

أُصيبتِ الدولةُ فى غنائها وسقط البَنّاءُ من بنائها

* * *

الخلفاءُ ولدُ المنصورِ وعصرُه الزاهى أبو العصورِ
إن استهلَّتْ بالدماءِ مُدَّتُهْ فما وقاها الهيج الا شِدتُهْ
ومن يَقُمْ بمُلكهِ الجديدِ يَقُدْه بالحرير والحديد
لا تَرجُ فى الفتنة رِفْقَ الوالى قد يُدفع الْحُكّامُ بالأَحوالِ
أنظرْ إلى أَيامه النواضرِ وظِلِّها الوارف فى الحواضرِ
عشرون فى المُلْكِ رفَقْنَ أَمْنَا وفِضْنَ نعماءَ ، وسِلْنَ يُمْنَا
خلافةٌ ثبّتها قواعدا ثم ترقَّى بالبناءِ صاعدا
أَدرَّ من صوْب الغمام دخلا على أَشد الخلفاء بُخلا
يخافُ فى مالِ العباد اللّهَ ما تَبع الدنيا ولا تلاهى
للسلم آلاتٌ وللحرب أُهَبْ جماعهن فى الممالك الذهبْ
وحوّلَ المنصورُ مجرى العهدِ أَخّر عيسى وأَقام المهدى
فكان فى تقديمه الإِصلاحُ وفى بنيه الخيرُ والفلاحُ
ولا تسلْ عن هِمَّةِ العقولِ ونهضةِ المعقول والمنقولِ
وكثرةِ الناقلِ والمُعرِّبِ عن حكمةِ الفُرسِ وعلمِ المَغرِبِ
واختطَّ بغدادَ على التسديدِ دارًا لمُلْكٍ يسرٍ مديدِ
كانت لأَيام البهاليل سِمَهْ ومِهرَجَانَ مُلْكِهم ومَوسِمَه
ينجمُ فيها النابغُ السعيدُ وينجب المقتبس البعيدُ

مَن جعل المغربَ مطلع الضحى وسخَّر البربر جندًا للهدى
وصرّف الأَيامَ حتى أَحدثتْ ما كان فى الأَحلام أَحلامَ الكرى
وأَظفر الصابر بالنُجح فيا هزيمة اليأْس ويا فوز الرجا !
ونقّلَ الدولةَ فى بيت الهدى فلم تزُلْ عن طُنُبِ إلا إلى
سبحانَه المُلْكُ إليه وله يؤتيه أَو ينزِعُه ممن يشا

* * *

قام إمامٌ من بنِى فاطمةٍ خليفة ثم تلاه من تلا
ما عجبى لملكهم كيف بُنِى بل عجبى كيف تأَخّر البنا
جدّهمو لا دين دون حُبِّهِ وأُمُّهم بالأُمهاتِ تُفتَدى
ومذ مضى مضطَهدا والدُهم أَصبح بالمضَطهد اهتمّ الملا
أَجلّهم عِلْيةُ كلِّ حِقبةٍ وخصَّهمْ فيها السوادُ بالهوى
والفرسُ والتركُ جميعا شِيعةٌ لهم يَرونْ حُبَّهم رأْس التقى
فشهِد اللهُ لهم ما قصَّروا القتل صبرا تارة وفى اللقا[1]
كم ثار منهم فى القرون ثائرٌ بالأَمويين وبالآل الرضى
هذا الحسينُ دمُه بكربلا روَّى الثرى لما جرى على ظما

---

(١) تعرضوا للقتل صبرا اى فى الحبوس وللموت تحت ظلال السيف .

واستشهد الأقمارُ أهلُ بيتِهِ ... يهوون فى الترب فرادى وثُنا
ابن زياد ويزيدُ بغيا ... واللهُ والأيامُ حربُ من بغى
لولا يزيدُ بادئًا ما شربتْ ... مروانُ بالكأس التى بها سقى

* * *

وثار للثارات زيدُ بن على ... بن الحسين بن الوصىِّ المرتضى
يطلبُ بالحُجة حقَّ بيته ... والحقُّ لا يُطلبُ إلا بالقنا
فتى بلا رأْىٍ ولا تجربةٍ ... جرى عليه من هشامٍ ما جرى
اتخذ الكوفةَ درعا وقنا ... والاعزلُ الاكشفُ مَنْ فيها احتمى
مَن تكْفِه الكوفةُ يعلَمْ أنها ... لا نصرَ عند أهلها ولا غَنَا
سائلْ عليًا فهو ذو علمٍ بها ... واستخبرِ الحسينَ تعلمِ النبا
فمات مقتولًا وطال صَلْبُهُ ... وأُحرقتْ جثتُه بعد البلى

* * *

على أَبى جعفرَ ثارتْ فتيةٌ ... ما أنصفوا والله فى شق العصا
هم أَهلُ بيت الحسن الطاهر أَو ... من شبَّ من بيت الحسين ونما
أَيطلبون الأَمرَ والأَمرُ لهم ... قد قرَّ فى بيت النبىِّ ورسا
يحمِلُ عنهم همَّهُ وغَمَّهُ ... أَبناءُ عمٍّ نُجُبٌ أُولو نُهى
فليت شعرى كان ذا عن حسَدِ ... أَم بُخله[1] بلَّغهم إلى القلى؟
محمدٌ رأْسهمو فى يثربٍ ... والقومُ فى الأَطراف يُذكون[2] القُرى

---

(١) اى بخل ابى المنصور . (٢) يهيجونها .

وأمرُ ابراهيمَ فى البصرة قد زاد وكوفانُ كمِرجَلٍ غلا
مُلمّةٌ لو لم تصادفْ هِمّةً لأَودت الدولةُ فى شرْخ الصبا
قام اليها مَلِكٌ مُشمّرٌ فى النائبات غيرُ خوّار القُوى
ساق إلى الدار خميسًا حازها وقتل المهدىَّ عند الملتقَى
وكان بين جيشه بأَخمرا وبين إبراهيم يومٌ ذو لظى
لم يصدُقِ ابنَ الحَسَنِ النصرُ به أصبح ضاحكًا وأمسى قد بكى
مات بسهمٍ عاثرٍ لم يَرمِهِ رامٍ ولكنّ القضاءَ قد رمى
فلا تسلْ عنجيشه أين مضى ولا تسلْ عن بيته ماذا التقى
هاربُهم ليس يرى وجهَ الثرى ولا يرى مسجونُهمْ غيرَ الدُّجى

* * *

وما خلا خليفةٌ مُسوّدُ من طالبٍّ يطلبُ الأَمرَ سُدَى
يُقتَلُ ، أَو يُزجُّ فى السجن به أو يتوارى أو يُبيده الفلا
يرجون بالزهد قيامَ أَمرهمْ والزهدُ منبعد أَبيهم قد عفا
لو دامتِ الدنيا على نُبوةٍ لكان للناس عن الأُخرى غنى
تخلَّقوا نبذَ المشورات فلا ينزلُ منهم أَحدٌ عما يرى
من لايرى بغيره وإن رأَى بعينى الزرقاءِ[1] كان ذا عمى
وقلما تخيروا رِجالهمْ إن الرجال كالفصوص تُنتقَى

* * *

---

(١) زرقاء اليمامة يضرب بها المثل فى حدة البصر .

قد خالف المأمونُ أهل بيتِه   حبًّا بأَبناءِ الوصيِّ وحِبا[١]

من أَجلهم نضا السوادَ[٢] ساعةً   فقال قومٌ : خلع الوالى الحيا

ولو سَهَا قوادُه وآلُه   لقلَّدَ العهدَ علىِّ بن الرضا

فما خلتْ دولته من ثائرٍ   قد قطع الطرقَ وعاث فى الحمى

جىءَ بشيخٍ عَلوىٍّ زاهد   فقبِل البيعة بعد ما أَبى

تأْمرُ باسمه وتنهى فِتيةٌ   لحيتُه بينهمُ لمن لَها

من أَهل بيته ولكن فزعتْ   من جَوْرهم وفِسقهم أُمُّ القرى

ورُبّ غادٍ مُنِىَ الحجُّ به   وخُوّف الخيف ولم يأْمن مِنى

وكان زيدُ النار فى أَيامهم   والآخرُ الجزّار عاث وعتا

فظهر الجندُ عليهم وانتهى   تائبهمْ إلى الإمام فعفا

فهؤلاءِ لم يشينْ غيرُهمْ   سمْعَ بنى حَيْدَرةٍ ولا زرى

من حظِّهمْ أَنْ صادفوا خليفةً   فى قلبه لهم وللعفو هوى

ولم تَزَلْ تمضى القرونُ بالذى   أَمضى مُصَرِّمُ القرون وقضى

حتى حبا اللهُ بنى فاطمة   ما مات دونَه الأُبُوّةُ العُلا

ماصلهم دهرهمو بحقِّهمْ   حتى إذا ما قيل : لن يفى ، وَفَى

ما لأَوانٍ لم يئنْ مُقدِّمُ   ولا يؤخِّر الأَوان إن أَتى

* * *

سار إلى المغربِ من شِيعتهم   فتى غزيرُ الفضل موفورُ الحجى

---

(١) الحباء : العطاء .   (٢) لباس بنى العباس وشعارهم .

تشيَّعتْ[1] من قبله آباؤهُ ... فرضع النية فيهم واغتذى

من أَهل صنعاءَ ودون عزمه ... ماصنعتْ من كلِّ ماضٍ يُنتَضى

وأَين داعٍ بسيوف قومهِ ... وآخرٌ أَعزلُ شطَّتْه النوى

يُصبِحُ مطلوبًا ويُمسى طالبًا ... ما قعدتْ طُلَّابُه ولا ونى

يُبشِّرُ الناسَ بهادٍ جاءَهم ... وأَن مَهْدِىَّ الزمان قد أَتى

حتى تملَّك العقول سحرُهُ ... إِن البيانَ نفثاتٌ ورُقَى

ولم يزل مُتَّبَعًا حيث دعا ... للفاطمىِّ ظافرًا حيث غزا

مهما رمى بخيلهِ ورَجْلِهِ ... فى بلدٍ أَذعن ، أَو حصنٍ عنا

فلم يدعْ من عربٍ وبربرٍ ... ولم يغادرْ من صحارَى ورُبى

أَجلى بنى الأَغلَبِ عن أَفريقيا ... عن الجنانِ والقصورِ والدُّمى

لابس أَقواما ، تحلَّى بالتقى ... بينهمو وبالفضيلة ارتدى

قدوةُ أَهل الدين إلا أَنه ... فى أَدب الدنيا المثالُ المُحتدى

ثم رمى المَغربَ فاهتز له ... وحثَّ نحو سجلماسةَ الخُطا

قاتَلها نهارَه حتى بدا ... لأَهلها الليل فلاذوا بالنجا

فجاءَ فاستخرج من سجونها ... تبرَ خلالٍ كان فى التربِ لَقَا[2]

أَتى به العسكرَ يمشى خاشعًا ... مكفكفا[3] من السرور ما جرى

وقال يا قوم اتبعوا واليَكم ... هذا الخليفة ابنُ بنت المصطفى

وترك المُلكَ له من فوره ... وسار فى ركابه فيمن مشى

أَنظرْ إِلى النيّةِ ما تأْتى به ... والدينِ ما وراءَه من الوفا

---

(١) تظاهر آباؤه بالدعوة الفاطمية .

(٢) مطروحا .

(٣) أى مكفكفا دمع الفرح .

ولا تقلْ لا خيرَ فى الناس فكم ... فى الناس من خيرٍ على طولِ المدَى

* * *

اضطلع المَهدِىُّ بالأَمر فما ... قصّر فى أمر العباد عن هدى
وحمل الناسَ على الدين وما ... يـأْمُر من رشدٍ وينهى من عمى
انتظمتْ دولتُه أَفريقيا ... وارفةَ الظلِّ خصيبةَ الذَّرا
وأَصبحت مصرُ ، وأَمرُ فتحها ... أَقصى وأَعصى ماتمنَّى واشتهى
كم ساق من جيشٍ اليها فثنى ... عسكرَه القحطُ. وردّه الوبا
وفتنة من الغيوب أومضتْ ... قلَّبتِ المغربَ فى جَمْرِ الغضا
صاحبُها أَبو يزيدٍ فاسقٌ ... يُريد أَمرَ الناس محلولَ العُرا
وكل مالٍ أَو دمٍ أَو حُرَّةٍ ... لناهبٍ وسافكٍ ومَن سبى
يا حبذا المذهبُ لا يرفضُه ... من قعد الكسْبُ به ومَن غوى
مات عُبيْدُ الله فى دُخانها ... وتعِبَ القائمُ بالنار صِلَى
فُضَّتْ ثغورٌ وخلتْ حواضِرُ ... وأَمرَ الطاغى عليها ونهى
بالمالِ والزرعِ وبالأَنفسِ ما ... أَنسى الوباءَ والذئابَ والدَّبَا[1]
ثم قضى محمدٌ بغمِّهِ ... والشرُّ باقٍ والبلاءُ ما انقضى
فلم تنلْ أَبا يزيدٍ خيلُه ... ولا قنا له الكنانةَ القنا
ارتدّ عن مصرَ هزيما جندُه ... يشكو من الإِخشيدِ مُرَّ المشتكَى
واستقبل المنصورُأَ مرًا بدَدًا ... ودولةً رثَّتْ وسلطانًا وهى

---

(١) الجراد .

نارُ الزَّناتىِّ مشت على القرى ... وغيَّرَ السيفُ الديارَ ومحىَ
فكان فى هوج الخطوبِ صخرةً ... وفى طريقِ السيلِ شمَّاءَ الرُّبا
مكافحًا مقاتلا بنفسهِ ... إنخاب لم يرجعْ ، وإنفاز مضى
لم يألُ صاحبَ[1] الحمار مَطلبا ... فى السهل والوعر وسيرًا وسُرَى
فأنقذَ المُدْنَ وخلَّص القرى ... وطهَّرَ الأَرضَ من الذى طغى
وترك المُلْكَ سلاماً لابنهِ ... والأَمرَ صفوًا والأَقاليمِ رضى
فتى كما شاءت معالى بيتِه ... عِلمًا وآدابًا وبأْسًا ونَدَى
تقيَّل الأَقيالَ من آبائِه ... وزِيدَ إقبالَ الجدود والحُظا
قد حسَّنَ المُلْكَ المُعِزُّ وغدتْ ... أيامُه للدين والدنيا حُلَى
أحاطَ بالمغرب من أَطرافهِ ... ودان منه ما دنا وما قصا
جاءت من البحر المحيطِ خيلُهُ ... تحمل منه الصيْد حيًّا ذا طرا
حتى ربتْ وكثُرتْ جموعُه ... ووفر المالُ لديه ونما
فاستحوذتْ مصرُ على فؤاده ... وقبلَه كم تيَّمتْ له أبا
فاختار للفتح فتى مُختبَرًا ... مَعدِنُه ، فكان جوهرُ الفتى
سيَّره فى جحفلٍ مُستكمِلٍ ... للزاد والعُدَّةِ والمال الروى[2]
فوجد الدار خلتْ واستهدفتْ ... بموت كافور الذى كان وقى
فلا أبو المِسْكِ بها يمنعُها ... ولا بنو العباسِ يحمون الحمى
قد هيئت فتحًا له لم يدَّعِمْ ... على دم الفتيان أو دمع الأَسى

---

(١) لقب الثائر الزناتى . (٢) الكثير .

فان يفتْ جوهرَ يومُ وقعةٍ ... فكم له يومًا بمصر يُرتضى

اعتدل الأَمرُ على مقدمهِ ... وكان ركنُ المُلكِ ميلًا فاستوى

وجرتِ الأَحكامُ مَجرَى عَدْلها ... وعرَف الناسُ الأَمانَ والغنى

كم أَثرٍ لجوهرٍ نفيسُهُ ... إلى المُعزِّ ذى المآثر اعتزى

الجامعُ الأَزهرُ باقٍ عامرٌ ... وهذه القاهرةُ التى بنى

وقل إذا ذكرتَ قصريْهِ بها ... على السدير والخوَرْنقِ العفا

ودان أَعلى النيل والنوبُ به ... للفاطميين وقدَّموا الجزى[1]

وخضع الشامُ ومن حِيالَهُ ... من آل حَمْدانَ فوارسِ اللقا

إلا دمشق اغتُصبتْ ولم تزلْ ... دمشقُ الشِّيعةِ تُضمرُ القِلى

وأَتتِ الدارُ[2] بنى فاطمةٍ ... وانتقلَ البيتُ اليهمْ وسعى

فصارت الخطبةُ فيهما لهمْ ... والذكرُ فى ظُهْرِ البقاعِ والدُّعا

حتى إذا الملكُ بدا اتساقُهُ ... ونظَمَ السعدُ لجوهرَ المُنَى

أَتى المعزُّ مصرَ فى مواكبٍ ... باهرة العِزِّ تكاثرُ الضُّحَى

واستقبل القصران يوما ، مثلَه ... ما سمع الوادى به ولا رأَى

خزائنُ المَغربِ فى ركابِهِ ... تباركتْ خزائنُ اللهِ المِلَا[3]

فاجتمع النيلُ على مُشبهِهِ ... وغمرَ الناسَ سخاءً ورخا

وابنُ رسولِ اللهِ أَندى راحةً ... وجودُه إن جَرحَ النيلُ أَسا

الأَرضُ فى أَكنافِ هذا أَجدبتْ ... وذا أَزاح الجدبَ عنها وكفى

---

(١) جمع جزية . (٢) الدار المدينة دار الرسول . (٣) الملاء .

ولم يزلْ أَبو تميم يشتهى بغدادَ والأَقدارُ دون ما اشتهى
حتى قضى عند مدى آماله لو تعرفُ الآمالُ بالنفس مدى
انتقل المُلكُ فكانت نُقْلَةً من ذِروة العزِّ إلى أَوْجِ العُلا
جرى نِزارٌ كَمَعَدٍّ للمدى كما جرت على العُصيَّةِ العصا
إن يكُ في مِصرَ (العزيزَ)[١] إنَّهُ من المحيط مُلكُه إلى سَبَا
المُسرجُ الخيلَ نُضارًا خالصًا والمُنعِلُ الخيلَ يواقيت الوغى
لم يخلُ من جدٍّ بها أَو لَعبٍ من الميادين إلى حَرِّ الرحى
مُلْكٌ جرى الدهرُ به زهوًا وما أَقصرَه مُلاوةً إذا رها[١]
مضى كأَيام الصِّبَا نهارُه وكليالى الوصل ليلُه انقضى
كان العزيزُ سدّة الفضل التى انقلب الراجون منها بالْحِبَى
لآل عيسى مِن نَدَى راحته وآل موسى قبسٌ ومُنتشَى
وكان مأْمونَ بنى فاطمةٍ كم كظمَ الغيظَ، وأَغضى، وعفا!
أَوْدى فغاب الرفقُ واختفى الندى وحُجِبَ الْحِلْمُ وغُيِّب الذكا
وحكمِ الحاكِمُ مصرَ. ويحَها! قد لقيَتْ من حُكمِهِ جَهدَ البَلا
أَتعبَها مُختلَطٌ مختَبَلٌ يهدِمُ إن ثار ويبنى إن هَدَا
ولم تزلْ من حَدَثٍ مُسَيَّرٍ إلى فئيل العزم واهنِ المَضَا
حتى خبا ضياءُ ذاك المنتدَى وعَطِلَ القصران من ذاك السنا
عفا بنو أَيوبَ رسمَ مُلْكِهِم وغادروا السلطانَ طامِسَ الصدى

---

(١) العزيز وارث المعز . (٢) لان وطاب .

وجمعوا الناسَ على خليفةٍ من وَلَدِ العباسِ لا أمْرَ ولا
سبحان من فى يده المُلْكُ ومَنْ ليس بجارٍ فيه إلا ما قضى

* * *

فيا جزى اللهُ بنى فاطمةٍ عن مصرَ خيرَ ما أثاب وجزى
وأخذ اللهُ لهمْ من حاسدٍ فى النسبِ الطاهر قال ولغا
خلائفُ النيل اليهم يُنتمَى إذا الفُراتُ لبنى الساقى[1] انتمى
تلك أياديهمْ على لَبّاتِهِ مفصلاتٍ بالثناء تُجتلَى
كم مُدُنٍ بنوْا ودورٍ شيَّدوا للصالحات هٰهنا وهٰهنا
هم رفعوا الإصلاحَ مصباحًا فما من مُصلحٍ إلا بنورهم مشى
والكرمُ المصرىُّ مما رسموا بمصرَ من برٍّ وسنُّوا من قِرَى
وكلُّ نَيْروزٍ بمصرٍ رائعٍ أو مِهْرَجانٍ ذائعٍ همُ الأُلَى[2]
همْ مزّقوا دروعهم براحِهم وكسروا بها الرماحَ والظُّبى
لا العربَ استبقوْا وهم قومهمو ولا رعوْا للمغربيّينَ الوَلا
قد ملّكوا الأبعدَ أمرَ بيتِهِمْ وحكَّموه فى العشائر الدُّنى
وأنزلوا السُّنّةَ عن رُتبتها ورفعوا شِيعتَهم ومَن غلا
وصيَّروا المُلكَ إلى صبيانهم فوجد الفرصة من له صَبا
ازداد بغىُ الوزراء بينهم وأصبحوا هُم الملوكَ فى الملا
خليفةُ الرحمنِ فى زاويةٍ من الخمول ، والوزيرُ ابنُ جلا

---

(١) الساقى : العباس . (٢) اى هم الذين كانوا الأصل فى ايجاده .

مطابع شركة الاعلانات الشرقية